المواجهة

د. رفعت السعيد



ماذا جرى لمصر؟

د. رفعت السعيد

ماذا جرى لمصر ؟!

ماذا جرى لمصر ؟
أقباطا ومسلمين

نتابع ما يجرى الآن من تفرقة بين المصريين بسبب الدين فنفزع ٠٠ ونطالع صفحات التاريخ المصرى فنرى كم كانت مصر متسامحة وسمحة ازاء كل أبنائها مهما اختلفوا فى الديانة ٠٠ فنزداد فزعا ٠ اذ نجد اننا نتردى ولا نتقدم ٠ وان البعض من مدعى التدين يفسدون على مصر تقاليدها وتراثها العريق فى التآخى بين الديانات ٠٠ وفى اعلاء وحدة الوطن والمواطنين على دعاوى التفرقة ٠

ونعود الى العصر العثمانى ٠٠ ذلك العصر الذى وصف بانه الزمن المصرى الأسود لنجد أن وحدة الوطن ووحدة المواطنين والمساواة بينهم كانت هدفا لكل عقلاء مصر ٠٠ وفى مقدمتهم رجال الدين مسلمين وأقباطا ٠٠

٠٠ ونطالع وثيقة هامة نورد بعضا منها لعله يكون حجة لنا عندما نقول ان الأمور تتردى ٠٠ وان البعض من مدعى التدين ومن المتصدرين للحديث باسم الدين لا يرقون الى مستوى رجال دين أجلاء عرفتهم مصر فى أيام محنتها فكانوا عونا لها ولم يكونوا وبالا عليها كما يفعل البعض ٠٠

تقدم الوثيقة صورة امر شريف أحضره جماعة النصارى الشاكين بالمنصورة ٠ ويسأل هؤلاء النصارى : ماذا يقول السادة

العلماء رضي الله تعالى عنهم في طائفة من النصارى ساكنين بمدينة المنصورة بأملاكهم عن أبائهم وأجدادهم .. وفي كل وقت يتعرض لهم جماعة بالأذية والأضرار . ويتعللون عليهم بأنهم يعلون بناءهم على أبنية المسلمين .. وانما يقصدون بذلك ظلمهم بغير وجهه الشرعي . فهل والحالة هذه يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى بالتساويف الباطلة عليهم والتعللات الواهنة .

.. وقد عرضت هذه الشكوى على قضاة المذاهب الأربعة .

فماذا كانت الفتوى التي أصدوروها ..

لا تجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين بالتساويف الباطلة عليهم والتعللات الواهية ، ويحرم عليهم ذلك . ويثاب ولي الأمر على منع من يتعرض لهم بغير وجه شرعي .. والله أعلم .

كان هذا راى عبد المنعم البشبيشي قاضي المذهب الحنفي ..

أما الشيخ محمد بن قمر الباب شيخ المذهب المالكي فقد قال في فتواه : « يحرم من سوف على جماعة النصارى أو سعى في أذيتهم أو ظلمهم أو تغريمهم شيئا » ظلما لقول الصادق الصدوق عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام « من اذى ذميا أو انقص ماله كنت حجيجه يوم القيامة » وللنصارى المذكورين التصرف في بناياتهم . وان عرف من تسبب في غرمهم كان لهم الرجوع عليه بجميع ما غرموه .. وعلى من له ولاية الأمر كف القهر عن الرعية المذكورين فهم وان كانوا نصارى فانهم من جماعة الرعية وكل راع مسئول عن رعيته » .

وقال مفتي المذهب الحنبلي الشيخ حمدان المقدسي . لا يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين بالتساويف الباطلة عليهم ، ويحرم عليهم ذلك ، لكون الذميين المذكورين

معصومين ولا يجوز لأحد أذيتهم بغير وجه شرعى ٠

أما الشيخ محمد المرحومى مفتى المذهب الشافعى فقد كان أكثر صراحة ووضوحا ، بل وأكثر حدة على كل من يحاول « أذية النصارى » فقال « لا يجوز للجماعة المذكورين أذية طائفة النصارى المذكورين ولا اضرارهم ولا ظلمهم ولا التسبب فى تغريمهم ٠٠ ولا التعلل عليهم بالأوهام الباطلة الواهنة ، بل يحرم على الجماعة المذكورين ذلك » ٠

ولا يكتفى الشيخ المرحومى بذلك بل انه يطالب بعقاب كل من يتعرض للنصارى بالأذية « بالعقاب الشديد اللائق بحالهم » الزاجر لهم ولأمثالهم عن قبيح أفعالهم بما يراه الحاكم باجتهاده من حبس أو ضرب أو نفي أو غير ذلك » وهو لا يكتفى بالحبس او الضرب أو النفى كعقاب لكنه يصل الى القول « بأن كل من استحل النصارى كفر وخرج عن الاسلام وجرت عليه أحكام المرتدين لأنهم «معصومون» فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يظلمهم لأمر سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بالوصية بهم فى أحاديث كثيرة ٠ ويثاب ولى الأمر نصره الله تعالى على الأخذ بيدهم وعلى منع كل من يتعرض لهم بظلم او غرم وغير ذلك والله أعلم » ٠

[د٠ محمد عفيفى عبد الخالق ـ الأقباط فى العصر العثمانى رسالة دكتوراه غير منشورة] ٠

وبعد

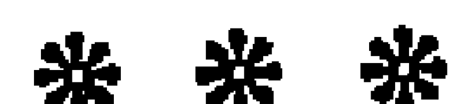
هذه هى فتوى شيوخ المذاهب الأربعة الصادرة فى عام ١٠٨٢ هجرية ٠٠ فى ظل العهد الذى اعتدنا ان نسميه بالعهد الأسود ٠٠ فهل لنا ان نسأل عن حالنا فى عهدنا « غير الأسود » ٠ وعن موقف رجال الدين أو بعضهم مما يجرى أمام أعينهم من

محاولات رسمية وغير رسمية للتفريق بين المواطنين بسبب الدين والعمل على بث بذور الفتنة بينهم ..

ونطالع ما كان . فى العهد العثمانى ونسأل فى مرارة :

ماذا جرى لمصر ؟

ويظل السؤال بغير اجابة . أو بالدقة يظل البعض محاولا جهد طاقته التستر على الاجابة ونواصل نحن السؤال .. وسنواصل .. ولن نمل .



أقباط ومسلمون فى غمار الثورة

اعتادت مصر أن تتغلب على أمراضها فى الوقت المناسب .

فبينما حاول رجال الاحتلال البريطاني تفريق المصريين الى مسلم وقبطى . وبينما تجاوب معهم فى مطلع القرن العشرين بعضا من المتطرفين من كلا الجانبين . استطاعت مصر في اللحظة المناسبة أن تزجر الجميع ، وتسكت صوت الفتنة ، وتحافظ على وحدة أبنائها .

وتأتى ثورة ١٩١٩ لتتوج هذه الوحدة الوطنية ولتقدم الدليل الأكيد عليها .. وفى ٢٠ أبريل ١٩١٩ يأتى عيد الفصح ويسجل عبد الرحمن فهمى هذا اليوم فى مذكراته قائلا « كان يوم ٢٠ أبريل هو الموافق لعيد الفصح عند الطوائف المسيحية ، ولكنه انقلب فى هذا اليوم الى عيد قومى عام ظهر فيه التضامن بأجلى مظاهره فقد ذهبت وفود المسلمين الى دار بطريركية الأقباط الارثوذكس والبطريركية المارونية مهنئين اخوانهم الأقباط بعيدهم وهناك خطب الخطباء من العنصرين فأكدوا بذلك روابط المودة والاخاء بينهما . وفى ٢٤ ابريل ذهب وفد من السيدات القبطيات الى مسجد السيدة زينب حيث كان فى انتظارهن فريق من السيدات المسلمات . وقد ذهب أولئك لرد التهنئة لهؤلاء فكان ذلك حادثا فذا فى التاريخ .

[مذكرات عبد الرحمن فهمى ص ٢٦٠]

ولست أخفى اننى أورد هـذه الواقعـة التاريخية ردا على الفتوى التى أصدرها الشيخ ابن باز مفتى السعودية والتى تؤكد أنه « لا يجوز تهنئة النصارى بأعيادهم ٠٠ لأن في ذلك تعاونا على الاثم والعدوان » ٠

ولست اخفى أيضـا اننى أتمنى أن تستعيد مصر وجههـا الحضـارى اللائق بها كى تصبح أعياد المسلمين والمسيحيين أعيادا قومية عامة تؤكد على تمسـك الجميع بالوحدة الوطنيـة ٠ وعلى احترام كل طرف لمعتقدات الآخر ٠

٠٠ وأعود لألح بالسؤال : ماذا جرى لمصر ؟

وأورد واقعة أخرى اقتبسها هذه المرة من مذكرة كتبها مكرم عبيد ٠٠ وكان فى عام ١٩١٩ سكرتيرا للمستشـار القضـائى الانجليزى وكان مكرم من قادة اضراب الموظفين فلما عاد من الاضراب قدم للمستشار الانجليزى مذكرة طويلة قدم فيها أسباب مشاركته فى الاضراب ورؤيته للقضية الوطنية ٠٠ وتحدث فيها عن العلاقة بين الأقباط والمسلمين فى مصر ٠٠ وعن مشـاركة الجميع فى الثورة ٠٠

يقول مكرم عبيد ٠٠ « فكان قسـوس بنى القبط القـادة المنشودين لجموع المتظاهرين ٠ وما أحلى صيحات البشر التى كانت تصعد من قلوب القوم كلها مر بهم علم يتعانق فيه الهلال والصليب٠ ثم ان المكان الأول الذى اتخذه الأزهر منبع العلوم الاسلامية فى حركة التسامح هذه ، فيه ما فيه من المعانى ٠ واننى لا أرى فى ذلك من عجب ، فالطالب الأزهرى هو الطالب المصرى الوحيد الذى رضع العلوم الأدبية والفلسفية القومية الصحيحة ، وهو يفضـل بكثير فى أدبه وحلاوة صيته على الأفندى العـادى الذى كونه لنا

التعليم المصرى « المتجلنز » أى ذلك التعليم الذى رأت السلطات الانجليزية نفحنا به » ٠

ويمضى مكرم عبيد ٠أما بنو القبط فقد ظهر للعيان اندماجهم فى الحركة قلبا وقالبا ، ولقد عزا ذلك بعض من لا يؤمن الا بدافع المصلحة الى خيبة رجاء الأقبـــاط فى رفع الانجليز عنهم ما منه يشكون ٠٠ وقال آخرون ان القبطى ذا الدهاء سلك مع المسلمين سبيل الحكمة صونا لعنقه ، وقال القاضى « مارك بارنت » أمامى فى معرض الكلام عن حــوادث اسـيوط انه أصـبح لا يعطف على الأقبــاط وانهم يستاهلون ما سيجره عليهم الأمر الذى كانــوا له ساعين ٠

قال ذلك وانه فيما قال لمن الخاطئين وليت شـعرى أيجهل القاضى « ماك بارنت » ان الأقباط هم من بنى الانسان وان غريزة الوطنية فيهم لابد من ان تجد لها مخرجا يظهر منه وجودها وبه تستبين ، واذا كان الأقباط ليسوا انجلترا مثله فلا مفر من أن تصبح وطنيتهم بالقومية المصرية كاسية » ٠

ويمضى مكرم عبيد فى مذكراته قائلا « قيل هذا كله وقيل سواه ، وجميع ما قيل فى الضلال والبعد عن الحقيقة سواء ٠ لقد دخل الأقباط فى الحركة عند أول عهدها ٠٠ وان أهل الرأى فيهم لا يقلون فى حماستهم عن اخوانهم المسلمين ، وان صبغة الروح لدى العنصرين واحدة فى الوطنية الصادقة ٠٠ انى أذكر ذلك وفى قلبى مرارة من التكلم عن الأقباط والمسلمين كأنهما فريقان ٠٠ ان اختلاف الدين لا يجوز أبدا ان يغير شطر الوجهة السياسية فى امة اتحدت لديها القومية والجنس واللغة وعهود التاريخ والعادات وانى لأشعر بأن الوقت قد حان كى لا تعرف بيننا الا كلمة مصرى ٠ ولا يذكر المسلم والقبطى الا فى دور العبادة ٠ على انه فى أوروبا وأمريكا قد اقتربت الساعة التى لا يكون اختلاف الدين فيها حتى داخل دور

العبادة الا اختلافا فى التعبير وتصبح عبادة مبدع الكائنات مناجاة روحانية وخلوصا للذات الصمدانية » ٠

٠٠ ويمضى مكرم عبيد قائلا ٠٠ « لقد ولدت ثورتنا المباركة بطلا للبلاد فى شخص القس سرجيوس ، ولست أجد ما اختتم به رأيى فى هذا الموضوع خيرا من قول مأثور عنه ، فقد قال ذلك القس الكريم ، اذا كانت الحال تدعو لتضحية المليون قبطى فى سبيل حرية سائر المصريين فان التضحية واجبة وثمنها غير ضائع ٠

[المرجع السابق ــ ص ٢٧٠]

وأتوقف عند عبارتين أعتقد أنهما بالغتى الأهمية :

عبارة على لسان القائد السياسى القبطى مكرم عبيد تقول : « أذكر ذلك وفى قلبي مرارة من التكلم عن الأقبــاط والمسلمين كأنهما فريقان » والعبارة الثانية للقس سرجيوس الذى اعتبر وبحق واحدا من قادة ثورة ١٩١٩ والذى اشتهر بخطبه النارية من فوق منبر الجامع الأزهر معلنــا وحــدة كل المصريين فى مواجهــة أعدائهم ٠٠ وتقول هذه العبارة « اذا كانت الحال تدعو لتضحية المليون قبطى فى سبيل حرية سائر المصريين ٠٠ فان التضحية واجبة وثمنها غير ضائع » وأتوقف عند عبارتين أعتقد أنهما بالغتى الأهمية ٠

٠٠ كذلك يكون الأمر عند عقلاء المسلمين ، بل وعند كل مسلم صحيح الاسلام ٠ لم يدمغ فهمه للاسلام بالتطرف والغلو والخروج عن الروح السمحة للاسلام والمسيحية معا ٠

٠٠ وأستعيد ذلك كله وأقارن بين موقف عاقل ووطنى للقس سرجيوس وللمناضل مكرم عبيد وبين موقف لا أريد أن أصفه لأن مجرد وصفه يخرج بالكلمات عن اطارها المهذب كذلك الموقف الذى

تقول به الفتوى المنقولة عن الشيخ ابن باز ، وبين المواقف المتشددة والمتطرفة التى تفرق بين المصريين بسبب الدين ، متناسـية ان الأقباط شركاء أصليون فى هذا الوطن وصانعون أصليون لتراثه وتاريخه وتقدمه وحضارته •

ولا إملك بعد ذلك الا أن أعود ودون ملل الى تكرار السؤال الملح ••

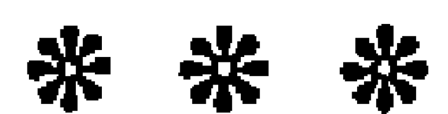
ماذا جرى لمصر ؟

وأضيف اليه سؤالا آخر ••

ومن المسئول عن ذلك ؟

أما سؤالى الأخير • فهو :

ومتى تتخلص مصر من مرض التطرف الدينى •• وكيف ؟



(١)

مســلمون وأقباط

ولن نمل من ملاحقة هذا الأمر ، بل ان هذا الأمر لن يمل من ملاحقتنا وملاحقة ضمائرنا ومصريتنا ٠

لن نمل من تكرار هذا السؤال المرير ٠ ماذا جرى لمصر ؟ ولن يمل هذا السؤال من ملاحقتنا ٠

ولسنا بذلك كله نطارد شبحا أو وهما ، بل فعلا متجسدا وفكرا يتردد ، بل ويطل علينا ليس فقط من شباب متطرف يفترض فيه النزوع المتعجل والفهم المتعجل ٠ وانما أيضا من رجال دين يفترض فيهم صحيح العلم وصحيح الرغبة فى حماية الدين وحماية الوطن ٠٠ يطل علينا ليس فقط من أوراق تطبع وتوزع سرا ، وانما عبر صحف حكومية واذاعة وتليفزيون فيها الحكمة والتروى وحماية المصلحة ان لم يفترض الفهم الصحيح للدين ٠

●● لن نمل من تكرار السؤال ٠٠ رغم اننى تلقيت مئات الاجابات بل لعلها أكثر من المئات ٠٠ الرسائل التى تحاول الاجابة كثيرة ، البعض منها متعصب يبدأ وينتهى بالهجوم والتهديد ناسيا ان انسانا مثلى لن يخاف من تهديد ، وان قضية كهذه لن تطويها أية محاولات صبيانية للتهديد والتخويف ٠٠

وأغلب الرسائل تحمل توقيعات مستعارة « أخوك القبطى » « قبطي متألم » « مسلم يمسك بالحقيقة (!) » « مجاهد اسلامى » الخ بما يعنى ان القضية ما زالت محل خوف وتخويف ..

وبعضها يحمل أسماء أصحابها كرسائل موحية ومليئة بالمحبة العطرة لمصر اتلقاها بانتظام من الدكتور سليم نجيب القاضى بمحكمة مونتريال بكندا وآخرين مقيمين هنا (لم أستاذنهم فى نشر أسمائهم) والتقط بضعة اسطر من بضع رسائل .

.. « بارك الله فيك . وأكثر من أمثالك لتنوير شبابنا حتى تصير مصر وتعود كما كانت دائما وطنا موحدا بأقباطه ومسلميه لا يعرف التعصب .. وليعمل الجميع معا أيديهم فى أيدى بعض من أجل مصر وطنا يعيش فى قلب كل منا حتى وان بعدت المسافات » .

(د. سليم نجيب)

.. « أعتقد ان البطالة وتدنى مستوى المعيشة وانتشار الفساد والأنشطة الطفيلية هى أرض خصبة لتفشى التعصب » .

(أخوك القبطى) .

.. « الاعلام .. الاعلام .. ومرة ثالثة الاعلام هو المجرم الحقيقى الذى يتسلل الى كل بيت حاملا معه رسالة التفرقة الدينية والتفريق بين محمد وجرجس بمجرد النطق بالاسم » .

(قبطي مصرى) .

.. للأسف ان نتائج حرب الخليج تخوفنى كثيرا من حيث تقوية دوافع التطرف الدينى والنعرة التعصبية . الله يحفظ بلادنا من كل شر ويدعم دائما أواصر المحبة الأبدية » .

(مواطن مصرى)

.. « اننى أحد أقبـاط مصر .. أقسم ان عينى أغرورقت بالدموع وأنا أقرأ كلمتكم المعبرة . ماذا جرى لمصر ؟ » البون شاسع جدا بين كلامك الذى يقطر حـلاوة وبين ما نشر عن فتوى مفتى السعودية بعدم جواز تهنئة النصـارى بأعيادهم .. والتى تقول « طبعا لا يجوز تهنئتهم بأعيـادهم ، ومكروه رؤية وجـوههم فى الصباح والمساء » أرايت كيف بلغت درجة التعصب المقيت ؟ » .

(قبطى متألم)

« دعنى أدخل فى الموضوع مباشرة أنا من أسرة فقير جدا من قرية (...) تبع مركز مغاغة ـ المنيا ـ من صغرى وأنا أنشد الصح ، وأردت أن أنضم الى جماعة تعمل على تغيير ما نحن فيه .. انضممت الى جماعة الاخوان المسلمين .. واعتقلت وبعد الافراج عنى ازددت تغلغلا فى الجمـاعة حتى اكتشفت أخطـاء كثيرة .. الاخوان اعتقلوا عقلى . صادروه وليس من طبعى هذا .. تمر الأيام ، وأقرا كلماتك فى « الأهالى » وكانت بمثابة شموع لى أضـاءت الطريق الى حد ما أرجو ان لا تتركونى فى هذه الدوامة وحدى .. والا فان ذنبى ليس منى » .

(طالب جامعى بالمنيا .. كتب اسمه وعنوانه) .

ورسائل عديدة أخرى .. لعلى ألخصها جميعا فى عبارة بالغة الدلالة ، بالغة الوضوح أوردها الطالب الجامعى من مركز مغاغة ـ المنيا تحتوى على كل ما أريد أن أقول « اعتقلوا عقلى وصادروه » ثم « أرجو أن لا تتركونى فى هذه الدوامة وحدى .. والا فان ذنبى ليس منى » .

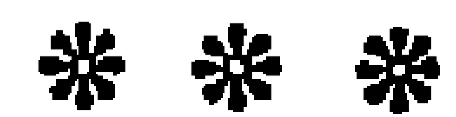
.. هذه الصرخة أبعث بها الى أكثر من اتجاه .. وتحديدا الى أجهزة الاعلام (التى لم تزل تخضع لابتزاز التطرف وتمهد

الأرض له ، وتتسلل بفكره الى منازلنا جميعا) •• والى السياسيين والمفكرين والمسئولين •• الى هؤلاء جميعا اوجه كلمات هذا الطالب الآتية من احدى نقاط تمركز التعصب والتطرف ••

•• وبرغم مئات الاجـابات يبقى السـؤال ملحـا •• يبقى يطاردنا •

ماذا جرى لمصر ؟

هل لديكم اجابة ؟



(٢)

مسـلمون وأقباط

وإذا كان « المتطرفون » ينشرون دعواهم للتعصب بحجـة العودة الى الاسلام « الأول » أى الى اسلام زمن الرسول والخلفـاء الراشدين ، فلنعد بهم اليه ، ولنحتكم اليه أيضا ٠٠

ففى عهد الرسول ٠ سرق مسلم درعا من مسلم وأخفاه عند ذمى دون أن يخبره انه مسروق ٠ وضبط الدرع عند الذمى وشهد له عدد من أقاربه بأن المسلم قد أحضر الدرع وأودعه كأمانة ، لكن أقارب السارق من المسلمين تدافعوا يريدون دفع الوصمة والعار عنهم وعن قريبهم وانتهوا جميعا الى الرسول ملحين أن ينصر المسلم والاهلك وتلبسهم العار لحساب ذمى ٠٠ وأوشك الرسول أن ينصر المسلم لولا أن نزلت الآية الكريمة « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » وحكم الرسول للذمى ضد المسلم ٠٠

ويروى « ان عمر بن الخطاب وجد عجوزا يسأل الناس فى الطرقات ، وعلم انه ذمى فسأله « ما ألجاك الى هذا ؟ فأجاب« الجزية والحاجة والسن » فاخذ عمر بيده الى بيته حيث أطعمه ومنحه مالا

وأسقط عنه الجزية هو وأمثاله ، وأرسل الى خازن بيت المال قائلا: اعطه وأمثاله ما يكفيهم وأهلهم .. بالمعروف » .

[أبو يوسف ــ الخراج ــ ص ١٢٦] .

ونعرف جميعا قصة القبطي الذى ضربه ابن عمرو بن العاص فاستدعى عمر المعتدى ليمكن القبطيمن ضرب ولد عمرو قائلا : « يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

ويقول المؤرخون ان عمرا قرأ على عمرو بن العاص آية من سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذى أنزل الينا واليكم ، والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

ومن الثابت أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا أعوانا لعمرو فى فتح مصر ، ويروى المؤرخ ابن عبد الحكم انه عند خروج عمرو لفتح الاسكندرية « خرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وأصلحوا له الطريق ، وأقاموا له الجسور والأسواق . وصارت الأقباط أعوانا على ما أراد من قتال الروم » .

ومنحهم عمرو بن العاص فور قدومه لمصر عهدا بحريتهم فى العقيدة واحترام كنائسهم وسمح لهم ببناء كنائس جديدة فبنيت كنيسة مار مرقص بالاسكندرية سنة ٣٩ هـ . كما شيدت أول كنيسة بالفسطاط سنة ٤٧ هـ .

كذلك لعب الأقباط دورا بارزا فى الجهاز الادارى المركزى الذى أقامه عمرو بن العاص لحكم مصر وكان هناك موظف قبطى لادارة الصعيد وآخر قبطى أيضا لادارة شئون الدلتا » .

[الهيئة العامة للاستعلامات ــ تاريخ وأثار مصر الاسلامية ــ ص ٧٦٥] .

ويقول العلامة القرافى فى كتابه الشهير « الفروق » « ان عقد الذمة [أى التعاقد بين أهل الذمة وحكامهم المسلمين] يوجب علينا حقوقا له فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله تعالى وذمة رسوله .. ودين الاسلام ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة عرض ، أو أى نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة دين الاسلام » .

ويعدد الشيخ القرافى واجبات المسلمين ازاء أهل الذمة فيقول انها : « الرفق بضعيفهم . وسد خلة فقيرهم ، واطعام جائعهم ، واكساء عاريهم ، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة .. ونصيحتهم فى جميع أمورهم فى دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم ، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وان يعانوا على رفع الظلم عنهم » .

[القرافى — الفروق — جـ ٣ — ص ١٤] .

فأين هذا كله مما يرتكبه المتطرفون صغارا وكبارا ، أين هذا مما يطل علينا به البعض فى نشرات سرية والبعض الآخر فى صحف حكومية وفى الاذاعة والتليفزيون ..

وبعد ..

ولكى لا يساء فهمى من أحد ..

فلست أورد ذلك كله استدرارا لعطف على الأقباط ، أو منا عليهم ، أو قولا بسماحة دين هو سمح بطبيعته ، لقد أوردته لاثبت فساد ما يتردد من فكر متطرف .. ومتعصب .

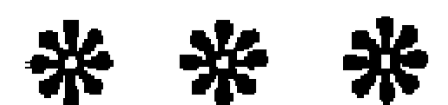
أما الأقباط فلهم حقوقهم التى يتعين أن يحميها الدستور والقانون والحكم وكل عاقل فى هذا البلد ، حقوقهم كشركاء فى هذا البلد « لهم مالنا وعليهم ما علينا » .

شركاء على قدم المساواة ·· وبلا أى تمييز ·

أليس هذا هو الحق والعدل والعقل ··

أليس هذا هو ما يصون وحدة الوطن ووحدة المواطنين ·

وأخيرا عندما نضطر ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين أن نقرر ذلك وأن نكرره فهل من حقنا أن نعود الى تكرار السؤال « ماذا جرى لمصر ؟ » ·



(٣)

مسـلمون وأقباط

.. وبلا ملل سنواصل البحث عن اجابة لهذا السؤال ونعود الى صفحات تاريخ مجيد لعلاقة صحية وصحيحة ومستندة الى صحيح الاسلام ، وليس الى ما يروج المتطرفون والمدعون ..

ومنذ أن وجد مسلمون وأقباط على أرض مصر عرفوا وعرف حكامهم معنى التآخى والمساواة .. المساواة فى كل شىء حتى فى تولى أرفع المناصب ..

ويتحدث ساويرس أسقف الأشمونين عن ظاهرة تولى الأقباط لمناصب رفيعة ويقول : « انه فى عهد عبد العزيز بن مروان تولى منصب الكتابة (وهو واحد من أرفع المناصب) كاتبان قبطيان هما اثناسيوس واسحق . وفى نهاية عهد هذا الخليفة كان والى الصعيد بأكمله قبطيا اسمه بطرس ، وكان « حاكم » مريوط قبطيا اسمه تافانوس . كذلك ولى الخليفة المأمون حين قدم لمصر قبطيا على مدينة بوره .

(ساويرس — سير الأباء البطاركة) .

واذا كان بعض من حكموا مصر قد تطاولوا على حقوق الأقباط فان مثل هذا التطاول كان لا يلبث أن يوضع له حد . ويلغى .

وقد أساء « الحاكم بأمر الله » الى العلاقات مع الأقباط ، بل وأجبر بعضا من الأقباط على اعتناق الاسلام ٠٠ ولكن ما لبث أن تولى الحكم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى (٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م) وأصلح كل ما أفسد الحاكم بأمر الله « فأعاد بناء كنيسة القيامة ببيت المقدس التى كان الحاكم قد هدمها ، وترك الحرية لأهل الذمة الذين تحولوا للاسلام فى هذا الحاكم للعودة الى دينهم القديم » ٠

(الهيئة العامة للاستعلامات ـ تاريخ وآثار مصر الاسلامية ـ ص ١٠١٩) ٠

ولاشك أن الأمر قد تطلب شجاعة من الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ٠٠ ذلك ان أناسا يتحولون من الاسلام الى المسيحية دون أن يقام عليهم الحد ٠٠ لكن الخليفة الظاهر كان يعرف « انه لا اكراه فى الدين » وان هؤلاء العائدين الى دينهم قد اكرهوا على التظاهر بالاسلام ٠٠

بل ان حاكما لمصر هو محمد بن الاخشيد قرر فى عام٣٣٠هـ ان يشارك الأقباط أعيادهم فشارك «فى الاحتفال بعيد الغطاس وكان احتفالا على شاطىء النيل شارك فيه كافة المواطنين من مسيحيين ومسلمين » ٠

٠٠ « ولا أدل على روح التسامح التى سادت العـلاقات بين المسلمين فى مصر واخوانهم من أهل الذمة من أن علماء المسلمين سمحوا لأهل الكتاب بأن يتتلمذوا على أيديهم ٠ حتى داخل الجوامع فى غير أوقات الصلاة فكان فريق من علماء النصارى واليهود فى مصر مثل سعيد بن البطريق الذى برع فى مهنة الطب وألف كتابا شهيرا فى التاريخ فى أوائل القرن الرابع للهجرة ٠ ومثل الطبيب اليهودى موسى بن العازار المتوفى عام ٣٦٣ هـ والمدرس اليهودى سعديا الفيومى الذى ترجم التوراه الى العربية » ٠

(المرجع السابق ـ ص ٧٦٥) ٠

كذلك وضع حكام مصر نظاما سمحا للتعامل مع المسيحيين الأجانب الذين يفدون الى مصر للتجارة أو للاقامة .. وخاصة في الاسكندرية ونقرأ معا العبارة التالية ـ وسمحت السلطات المصرية باقامة يوم في الفنادق (التي يقيم فيها الأجانب) للصلاة . رعاية للشئون الدينية والروحية للتجارة ، فكان لكل فندق كنيسة ، ولكل جالية قساوستها » ما عدا الجاليات الكبرى ، فقد كان لها كنائس كبرى مستقلة ، مثل كنيسة القديس نقولا لأهل بيزا ، وكنيسة القديس مارياك للجنوبيين ، وكنيسة القديس ميشيل للبنادقة » .

(المرجع السابق ص ١٠٧٤) .

كذلك يذكر المقريزي أنه كان أيامه (القرن التاسع الهجري) « حوالي تسع عشرة كنيسة في القاهرة كثير منها محدث في الاسلام ، في حين بلغت كنائس الوجه البحري خمس عشر كنيسة ، وكنائس الاسكندرية أربع ، كما كان مسموحا للأقباط أن يشتروا بيتا أو مبنى ويحولونه الى كنيسة ، وقد ذكر المقريزي أمثلة لذلك في سمنود وأبي تيج » .

(وبالطبع لم يقف الخط الهمايوني الشهير حائلا أمام ذلك) .. « وقد حرص بعض أثرياء الأقباط على أن يحبسوا أوقافا على الكنائس والأديرة .. وقدرت هذه الأوقاف سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) بخمسة وعشرين ألف فدان في أنحاء البلاد ، يشرف عليها غالبا البطريرك المختص » .

(المرجع السابق ـ ص ١١٣٠) .

.. وبعد .

لماذا يمكننا أن نضيف الى ذلك كله أكثر من سؤالنا الذي يزداد الحاحا على أذهاننا وضمائرنا ومصريتنا ماذا جرى لمصر ؟

* * *

ماذا جرى لمصر

ولم تزل الرسائل تتوالى • البعض يحاول أن يجيب عن السؤال التقليدى ماذا جرى لمصر ، والبعض الآخر يحاول أن يعقد الاجابة والرسائل فى أكثرها أما متشائمة أو تبعث على التشاؤم « لكننى مع ذلك سأواصل معركة هذا الوطن » ولن أتراجع •

وابتداء أقولها صريحة واضحة لمن يحاول اخافتى أو يحاول هز عزيمتى سأواصل هذه المعركة حتى نعثر معا على اجابة عن سؤالنا واليكم عينة من رسائل متراكمة • سأعرض عليكم عينة ممن حاولوا أن يفكروا بايجابية متجاوزا عن هؤلاء الذين يملأون رسائلهم بالشتائم •

التوقيع على احدى الرسائل « محمد المنياوى » لكن صاحبه لا يلبث أن يوضح أن الاسم مستعار فالرجل لم يزل خائفا استمعوا الى كلماته أنا مسلم حسن الاسلام والحمد لله • ومع ذلك نالنى بعض من ارهابهم فلمن اشكو ؟ فى قسم البوليس أفهمنى الضابط بصراحة الا أفتح هذا الموضوع • فنحن – أى هم – مش عاوزين دوشة • ولا وجع دماغ وابتلعت اهانتى فالحكومة لا تغضب من هؤلاء المتطرفين الا اذا اعتدوا عليها وعلى أحد رجالها • أما اذا ما اعتدوا على مواطن عادى مثلى وقيدوا حريته واعتدوا عليه لمجرد انه فتح الراديو فى محله على صوت أم كلثوم فالحكومة لا تتحرك ،

تاسية ان هؤلاء الشبان لا يلبثون أن يستاسدوا ولا يستطيع أحد أن يحكمهم بعد ذلك ٠

ورسالة أخرى ٠٠ يؤكدون ويكررون النبى أوصى على سابع جار فما بالهم فى المنيا وأسيوط وسوهاج وغيرها من أرض الكنانة يفتكون بأقباط مصر أصل هذا الوطن ٠ والذين دائما ما تمتزج دماؤهم مع دم مسلميها فى ميادين الدفاع عن الوطن وآخرها فى الدفاع عن الكويت٠فماذا جرى لمصر الرب يرحمنا ويحمينا ويحافظ عليك أنت ٠ والتوقيع قبطى عجوز ٠

وكاتب شجاع ذكر اسمه « نعيم تكلا ــ كاتب روائى » وجه رسالة جعلتنى أقطر خجلا وحيرة ٠ وقائع بشعة سأورد قليلا من أقلها سخفا استمعوا معى « على مدى أسبوع فى بلدتى بهجورة مركز نجع حماد سمعت هذه الحكايات وأورد حكايات لاتصدق سأختار كما قلت عينة من أقلها بشاعة ، كنيسة مارى جرجس الصغيرى تجاسر مجلسها فركب مظلة قماش (تندة) لحماية المصلين من الشمس فطار الخبر لضابط النقطة الذى هرع الى مكان الجريمة ومزق بيديه المظلة القماش » ٠

و « ناد اجتماعى وثقافى ملحق بكنيسة مارى جرجس الكبرى تآكلت اللافتة المعلقة عليه فقام أحد الشباب باعادة طلائها وكتابتها طار الخبر لمأمور المركز فأرسل استدعاء لكاهن الكنيسة » ٠

وتمضى الحكايات المذهلة ٠٠ ثم يعلق الكاتب « مثل هذه الحوادث ياسيدى تحدث كثيرا فى كل قرى مصر على مدى السنوات العشر الأخيرة ٠ وهى العامل الرئيسى فى افساد العلاقة الأخوية بين الأقباط والمسلمين » وخلف كل هذا « الخط الهمايونى » ذلك القانون العثمانى البالى الذى لا ينتمى الى أية شرعية دينية أو انسانية أو قانونية ٠

ويمضي الرجل متسائلا « أريد أعرف الحكمة الخافية لابقاء هذه البؤرة اللعينة التى تنفث سموما فى جسد الأمة المصرية لا أريد أن أسمع من يقول أن ابقاء الخط الهمايونى انما مراعاة لمشاعر المسلمين أربا باخوتي المسلمين أن تكون مشاعرهم هكذا تتاذى لتعليق تاندة قماش أو دهان لافتة ٠

وأنا على ثقة أن الغالبية الساحقة من اخوتى المسلمين لاتدرى بهذا الخط الهمايونى ومن يسمع منهم حكايته يستنكر ويتعجب ٠

رسالة واحدة متفاعلة تؤكد أن مصر بخير صاحبها عجيب مينا جرجس ٠ يحكى قصصا انسانية عن علاقات حميمة بين مواطنين مصريين مسلمين وأقباط « ويحاول أن يجد اجابة عن سؤالنا فيقول فى هدوء « اخوتنا فى الوطن الذين ينسب البعض اليهم التطرف هم ليسوا كذلك بالتأكيد هموم الحياة صعبة ومرة طحنتنا وطحنتهم طحنا وبلا هوادة فالتهبت منهم الأعصاب ٠ وهم يظنون ان الذين يفعلونه لصالح الذى يبشرهم به اخوة أخرون ليفعلوه ٠

وبعد ان يسير ويرفق وأدب جم الى المحرضين الذين اعتقد أنه يقصد بهم بعض من ينسللون عبر أجهزة الاعلام الرسمى يعود ليقدم لنا أو بالدقة ليذكرنا بعبارة جميلة ورائعة للدكتورة نعمات أحمد فؤاد « مصريون قبل الأديان ، مصريون بعد الأديان ٠ مصريون الى آخر الزمان » ٠

وتمضى الرسائل لتتراكم ولتؤكد أننا لا نحرث فى البحر كما يؤكد كاتب من سوهاج لم يذكر اسمه ووجه رسالة مختصرة وحادة ٠ أشكركم لجهدكم الكبير ٠ لكن أسمح لى أن أقول لك انكم تحرثون فى الماء فالداء أخطر بكثير مما تتصوره ومرفق صورة من المنشور الذى وزعته الجماعات المتطرفة بعد صلاة عيد الفطر ٠ وبعد صلاة الجمعة وقد وزع فى جميع مدن ومراكز محافظة سوهاج ولعل

الرجل يسأل كيف وزع المنشور بهذه الكثافة ولعله يسأل لماذا وكيف وأسأل بدوري المسئولين هل قرأتم هذا المنشور المعنون « فليسمع الحكام » والموقع الجماعة الاسلامية بمصر المسلمة .
وأسألهم هذه المرة أريد اجابتكم أنتم ماذا جرى فى مصر .

واذا لم تكونوا قد قرأتم هذا المنشور فلدى النسخة التى وصلتنى بالبريد من سوهاج .

أرأيتم أن الأمر خطير وانه يمس مصير الوطن ومصيركم ومصير كل مصرى مرة أخرى ولن تكون الأخيرة هل لديكم اجابة عن سؤالنا العتيد ماذا جرى لمصر .

وهل تعرفون من المسئول عما نحن فيه .

* * *

(٤)

مسـلمون وأقباط

عندما أشاهد مظاهر التطرف والغلو أدهش فهذه مصر غير التى نعرفها وغير التى اعتدنا عليها وعندما تتعاقب أحداث التطرف والعنف والأرهاب والتفريق بين المصريين على أساس الدين تزداد دهشتنا فهؤلاء الذين يعرفون مصر فى بحر من الدماء بدعوى الدفاع عن الدين · والذين يمزقون وحدة الوطن بدعوى مناهضة الكفار هؤلاء لا يخرجون فقط على صحيح الدين ولا يعملون فقط ضد الوطن ووحدته وضد مواطنيه وحقهم فى المساواة · لكنهم يخرجون على التقليد المصرى الأصيل تقليد التســامح واحترام أبناء الديانات الأخـرى احتراما يكفل لهم ذات حقوق وذات واجبــات المواطن المسلم ·

ماذاجرى لمصر هذا السؤال ظل يراودنى وأنا اطالع كتابا مدهشا لأحمد خاكى عنوانـه · رسائل من مصر ــ حيـاة لوسى جوردون فى مصر (١٨٦٢ ــ ١٨٦٩) ·

والسيدة لوسى دف جوردون مسيحية بريطانية أتت الى مصر وعاشت فى الأقصر عدة سنوات · وأحبها المصريون لأنها أحبتهم وبرغم انها مسيحية متدينة فقد أسماها سكان الأقصر « الشيخة »

وأحيانا « ست الشيخة » وأحيانا أخرى « نور على نور » أما هى فقد اعـربت أكثر من مـرة فى رسائلها عن احترام عميـق للدين الاسلامي وللمسلمين من سكان الأقصر الذين تعاملوا معها بمودة واحترام فائقين ٠

وتفسر « لوسى » روح التسامح العميقة الجـذور فى النفس المصرية تفسيرا فلسفيا يستحق التأمل فهى تقول « يبدو تاريخ مصر كالرقعة التى نقشت عليها كتابات قديمة محيت الواحدة بعد الأخرى ٠ واختلطت آثارها بعضها فوق بعض فقد كتب الانجيل فوق هيردوتس « وكتب القرآن فوقهما » [ص ٤٨] ٠

لوسى ترفض عملية التبشير المسيحية التى كانت منتشرة فى صعيد مصر فى ذلك الحين وتكتب قائلة « أقول ان محاولة تحويل المسلمين عن دينهم محاولة سخيفة بل هى محاولة خاطئة ٠ فالعقيدة الاسلامية فى نظرى ـ تقوم على العقل الى حد كبير ٠ وكل ما نحتاجه هنا هو نشر المعرفة فى عمومها وتتميز العقيدة الاسلامية بأنها عقيدة بسيطة ولا يسيطر عليها رجال الدين كما يفعل القسس عندنا » ٠

وتحكى ـ لوسى ـ عن علاقتها بالشيخ عبد الوارث فقيه الأقصر والشيخ يوسف أبو الحجاج فتقول انهما أعجبا بمحاولاتها لمساعدة المرضى والاحسان الى الفقراء وقالا انها من النصـارى الذين نقل عن سيدنـا محمد سلام الله عليه انهم يتحلون بالتواضـع وانهم لا يتنافسون الا فى صالح الأعمال وان الله سيضاعف لهم الجزاء ٠

وتذكر ـ لوسى ـ فى دهشة روح التسامح العميق الذى دفع سكان الأقصر الى احترام القس أرثر ستانلى ٠ والذى كان أسـتاذا لتاريخ التربية فى جامعة اكسفورد ٠ وكان فى الوقت نفسه عميدا لكنيسة وستمنستر واختارته الملكة ليصحب ابنها ولى العهد فى رحلته الى صعيد مصر فى سنة ١٨٦٢ ٠ وتمضى قائلة « لم يكن

يذكره اليوم بانه الشيخ أرثر ستانلى الذى كان حكيما متزنا اصيلا فى تصرفاته . فلم يكونوا يفرقون بينه وبين أى شيخ مسلم من علماء الأزهر لولا أنه كان يتحدث بالانجليزية . [ص ٥٤] .

وتروى — لوسى — فى احدى رسائلها كيف ان أحد المشايخ كان يتحدث عنها ويمتدح خدمتها للمرضى وتعريضها حياتها للخطر من أجلهم ثم قال « لو انها توفيت لاتخذت مقعدها بين الشهداء . فقد أظهرت كيف تكون التضحية بالنفس فى سبيل الأخرين . وتندهش » لوسى « من عبارة كهذه حتى ولو قيلت على سبيل المجاملة فكيف يقول عالم اسلامى عن سيدة مسيحية انها لو توفت لاتخذت مقعدها بين الشهداء .. وتبدى اعتزازا كبيرا بهذه العبارة وتقول « حتى ولو كانت هذه العبارة على سبيل المجاملة فقد قيلت باللغة العربية علنا أمام ثمانية أو عشرة رجال وكان قائلها رجلا يعتبر حجة فى الدين » [ص ٥٦] وتمضى — لوسى — من خدمات للمرضى والفقراء وتقول لوسى لنتحدث فى دهشة عن هذا العالم الاسلامى الجليل الذى امتدح ما قدمت . انك قد مارست العمل بالمبادىء التى جاء بها القرآن . ثم ضحك قائلا أظن أنه كان الأجدر ان أقول التى جاء بها الانجيل ولكن ماذا يهم فى ذلك ؟ ان الحق واحد سواء نطق به سيدنا عيسى أو سيدنا محمد . [ص ٥٦] .

ونطالع هذه الكلمات وتزداد دهشتنا للتردى الذى وصلت اليه مصر الأن على أيدى دعاة التطرف الدينى . بل وعلى أيدى أجهزة الاعلام التى تمالئهم وتمهد السبيل أمام تطرفهم .

ونطالع هذه الكلمات عن التسامح والمودة التى سادت بين المسلمين والمسيحيين على أرض مصر منذ قرن ونصف من الزمن . ونقارن ما يجرى الأن ونسأل وباعلى صوتنا .

ومن المسئول هل هؤلاء الشبان المتطرفون وحدهم ؟ أم ان من خلفهم قوى ومناهج تعليمية ووسائل اعلامية تغرس روح التفرقة والتعصب والتطرف .

* * *

ملاحظات صغيرة

ولأن الحدث خطير · ولأنه يمس مصر أرضا وشعبا · تاريخا ومستقبلا · فانه وحتى الملاحظات الصغيرة · والأحداث العابرة تبدو كبيرة وملفتة للنظر فى أعين البعض ·

واليكم عدد من الرسائل تتشبث بحوادث فردية · وانطباعات متعجلة · سلبية أو ايجابية · محاولة ان تتوصل معها وبها الى اجابة على سؤالنا العتيد ··

وبرغم ان الملاحظات عابرة · وبرغم انها تعبر عن مسلك فردى فانها تنعكس لدى البعض كمظهر لأزمة عامة ·· وخطيرة ·· وثمة رسالة من القارىء محمد محمود عبد الرجال شعيب ·· أنا شاب مصرى قديم الجذور بقرية ديروط الشريف مركز ديروط ـ محافظة أسيوط لى أصدقاء نصارى كثيرون · أخلص لهم ولا يخلصون لى ، أو كانوا زمان يخلصون لى ، أما الآن فارادتهم ليست بيدهم ، بل بيد زعمائهم وقادتهم · ويسألنى فى تحد ·· « اعطنى مصريا نصرانيا واحدا يشترى من محل مصرى مسلم أو يكشف عند طبيب مسلم » ويسألنى فى غضب · اعطنى نصرانيا واحدا باستثناء الأستاذ فيليب جلاب لم يفرح لانتصار أمريكا فى حربها التدميرية ضد العرب والمسلمين المسماة بحرب تحرير الكويت ·

وعلى سؤالك الأول يا صديقي عبد الرجـــال شعيب أجيب بفقرة من رسالة لقارىء قال ان اسمه « سمير بنايوتى » فقرة تقول .. التسامح يجلب التسامح والتعصب يجلب التعصب .

أما سؤالك الثاني فهو خاطىء من أساسه فالذين فرحوا وهللوا لتدمير العراق ولانتصار السيد الأمريكى ينتشرون عبر مساحـــة واسعة من المسلمين والأقباط ، والا فما رأيك فى موقف الحكومة السعودية وسمو أمير الكويت وحاشيته وحكام دولة الامارات والحكم فى مصر والاعلام المصرى الرسمي بأكمله .. فلم تخلط هذا بذاك ، وتتخذ موقفا سياسيا لبضعة أفراد سبيلا لترويج أسباب الفتنة والاختلاف ..

ومن الملاحظات الصغيرة المثيرة للدهشة ما يرد فى رســـالة القارىء « داود عبد الله رزق من الاسكندرية » والرجل يعرب عن سعادة غامرة لأن زوجته طلبت صديقة قبطيـــة بالتليفون لتهنئتها بالعيد .. لكنها أخطأت الرقم فردت عليهـــا ســيدة مسلمة كانت مهذبة ومجاملة ومصرية المشاعر فتلقت مكالمتها بترحاب وقالت لها .. « أنا سعيدة جدا يا ابنتى انى سمعت صوتك ، وأكثر سعادة أن أجد الفرصة لأقول لك كل سنة وأنت وأولادك وزوجك فى خير وسلام . و « استطال الحديث مجسدا عشق انسان هذه الأرض للخير والتآخى وليثبت لنا جميعا ان الغالبية العظمى تريد تأكيد كل الخصال العظيمة فى انساننا المصرى » .

ونمضى الى رسالة أخرى من أبو تشت محافظة قنا .. تتشبث بحادث قد يكون فرديا وقد يبدو عابرا لكنه على أية حـــال ثمرة لتصاعد الفتنة ويسهم فى الوقت نفسه فى تصاعد نيرانها ..

« أحد المسئولين (أوردت الرسالة موقعة واسمه) باع منذ

أكثر من خمس سنوات قطعة أرض لمواطنين من الأقباط ليقيموا عليها جمعية خيرية مسيحية ، وبعد خمس سنوات أو أكثر كانت أوراق الجمعية لم تزل تتعثر في مباحث أمن الدولة لبحث اجراءات التأسيس . وقبل ان تتم الموافقة سعى صاحب الأرض القديم فأثار مشاعر الناس واستخدم عددا من البلطجية وتآمر مع العناصر المتطرفة فقاموا بسلسلة من الاعتداءات نجم عنها ان تراجع الأخوة المسيحيون عن مشروع تأسيس الجمعية وأخبرهم المسئول على أن يعيدوا له الأرض بنفس سعرها القديم ليستفيد من فرق الأسعار .

ويستند القارىء « المسلم » الذى لم يأذن لى بذكر اسمه الى هذه الواقعة ليقرر ان ثمة مصالح مالية واقتصادية تكمن خلف الأحداث الطائفية .

وأعود بعد ذلك الى ما بدأت به ..

فالأحداث كل منها فردى .. وقد يكون بسيطا لكنه ذو مغزى، وقد يكون عابرا لكنه معبرا عن واقع فعلى .. ويمكن القول بأنه لو أن المناخ العام كان صحيا لما كان الأخ عبد الرجال شعيب قد سلط حواسه لمتابعة هل يشترى الأقباط من محل مسلم ؟ ولما كان الأخ داود عبد الله رزق قد دهش كل هذه الدهشة لأن سيدة مسلمة هنأت أسرته بعيد القيامة ولما كان هذا المسئول في أبو تشت قد تعمد اشعال نيران فتنة طائفية من أجل كسب شخصي قل أو أكثر .

انها ملاحظات صغيرة . لكنها عميقة الدلالة . وهى تقودنا جميعا الى التأمل فى حقيقة المناخ الذى يسود هذا الوطن . وهو مناخ مسموم بكل معنى الكلمة ، وان حاول البعض لأن يغطيه بابتسامات منافقة . أو بادعاءات مظهرية لا تنعكس فى المواقف العملية هذا المناخ يجب ان يقاوم ، يجب أن يرفض ، وأن نعمل

جميعا على ازالته واســـتعادة حالة التآخي والتعايش المستقر بين مسلمينا وأقباطنا ٠٠ وذلك لن يكون الا بتأكيد مساواة حقيقية ٠٠ مساواة لا تقبل أى تفريق بين المصريين بسبب الدين فى أى مجال من المجالات ٠

وذلك لن يكون أيضا بغير جهد مكثف يطهر أجهزة اعلامنـــا الرسمية وبرامجنا المدرسية وأساليب عملنا الادارى والوظيفى من كل مظهر من مظاهر التفريق ٠٠

لا تلقوا اللوم على هذا الفـــرد أو ذاك ٠ على هذه الحادثة أو تلك ، بل كل اللوم على المسئوليـــة على عاتق المسئولين الذين يكرسون بمسلكهم العملى فى مختلف المجالات سياسة التفريق بين المواطنين بسبب الدين ٠

وأخيرا ٠٠ لم يزل سؤالنا ملحا ٠٠ ولم نزل بانتظار المزيد من الاجابات ٠

***

رسالة من قبطى الى أقباط مصر

وينضج الحوار المفتوح حول سؤالنا المتكرر ويمتلك الكثيرون شجاعة الاسهام فيه برغم تصور البعض أنهم يمشون على الشوك كى يلحقوا به ·

ورويدا رويدا تقل الرسائل المجهولة النسب والصاحب · وتتألق الأسماء والتوقيعات على أكثر الرسائل فى شجاعة قادرة على المواجهة ·

والتقط من بين الرســـائل واحـدة منحتنى قدرا كبيرا من السعادة وقدرا أكبر من التصميم على مواصلة هذه المعركة ·

الصديق هانى سمير فرج ـ المعادى الجديدة يبدأ رسالته بعبارة جميلة وموحية · بسم الله الواحد الذى نعبده جميعا · وبعد مديح لا أستحقه يدخل مباشرة الى محاولة الاجابة عن سؤالنا ·

أقول ان ماجرى لمصر يدعونا جميعــا نحن ـ شعب مصر ـ وخصوصا المسيحيين وأنا منهم الى أن نفكر كى نعرف الحقيقة ثم نفعل شيئا لتحقق نتيجة · وقد تكون النتيجة غير مدوية ولكنها ومع تراكمها ستحقق هدفنا الكبير ·

والأخ هانى فرح لا يحاول أن يوزع اللوم على الآخرين مكتفيا بذلك بل هو يبدأ بتوجيه حديثه الى مسيحيى مصر · ساضع أمام

مسيحيي مصر وأنا منهم بضع حقائق ووجهات نظر اذا اتبعوها فسوف تصل الى حال أفضل فى بناء وحدة الوطن ٠

ويوجه المواطن هاني فرح حديثه الى المسيحيين المصريين قائلا :

ـ لنطرح كل خوف ولنتخل عن السلبية تجاه الحياة العامة والحياة الاجتماعية ٠

ـ يجب ان نتصرف دوما كمصريين وطنيين منتمين الى الأمة العربية ٠

يجب ان نسهم فى انتخابات مجلس الشعب بشكل واضح والا نتهرب من أداء هذا الواجب الوطنى ٠ وان نسهم فى انتخابات النقابات المهنية والعمالية وكل انتخابات ٠ وان نعطى صوتنا دوما وفق ضميرنا الوطنى ولمن يخدم مصلحة الوطن ومصلحة وحدته ٠

ـ ان نواجه وبشجاعة ولكن بحكمة كل من يحاول تمزيق وحدة الوطن فى اى مكان ٠

ـ اذا كنا نحن نتعصب فى طوائفنا بين أرثوذكس وكاثوليكى وبروتستانتى فكيف نشكو من تعصب بعض المسلمين المتطرفين ضدنا جميعا ٠

ـ الا نغلق النوافذ والأبواب على أنفسنا وننقوقع فان ذلك يؤدى بنا الى مزيد من الانطواء بعيدا عما يحدث فى المجتمع ٠

ـ ان نسهم فى النشاط السياسى العام وان نشارك بكثافة فى الأحزاب السياسية وأنا شخصيا أفضل ان أنتمى الى حزب تقدمى يمتلك خطا واضحا ازاء قضايا مصرنا ووطننا العربى ٠

وأخيرا أقول لأخوتى المسيحيين حذار من أن تعلقوا امالكم على

امريكا فأمريكا لاتدافع عنا وانما تدافع عن مصالحها ومصالحهـــا ليست مصالح مصرنا ولا مصالح شعبنا ٠

وتنتهي رسالة القارىء هاني سمير فرح تنتهي سطورها لكن دلالاتها وما حملته معاني تبقى مفتوحة لنقاش ممتد ٠ لكنني التقط من هذه النصائح العديد خيطا أساسيا هو « السلبيـة والتقوقع والابتعاد عن الحياة العامة للمجتمع التي يمارســـها العديد من الاخوة الأقباط » ٠

انني ممن يعتقدون أن مصر بخير وانها حبلى يقوى وشخصيات وافرة العدد ٠ وقادرة على مواجهة التطرف وعلى بناء وطن حر ٠ لمواطنين أحرار ٠ يعيشون فيه على قدم المساواة ودون أى نوع من أنواع التفرقة يقول هاني فرح ٠٠ فقط لتمتد الأيدى ٠ لنسهم في الحياة العامة لننضم الى الأحزاب السياسية لنناضل في صفوفها من أجل موقف مستنير ومتحرر ٠ لنشارك في الانتخابات البرلمانية والنقابية لنعط أصواتنا وفق ما يمليه علينا ضميرنا ٠

ان فعلنا جميعـــا ذلك ونفضنا عنا ثوب السلبية واللامبالاة ساعتها سنكتشف اننا كثيرون وان المتطرفين قلة قليلة لايبرز دورها الا من خـــلال سلبيتنـــا نحن يا أخوتى جميعا ٠٠ هل وصلتكم الرسالة ٠٠

يا أخي هاني سمير فرح ٠ شكرا فقد منحتني قدرا كبيرا من الاصرار على ان أواصل هذه المعركة ٠ وان الح بسؤالى الذى لن أمل من تكراره ٠ ماذا جرى لمصر ٠٠

* * *

وأقــر أنني مســئول

قارىء شجاع يتحداني ويتحدى الجميع ـ ناجي عزيز نجيب ، همبيا شرقية يكتب بشجاعة وصراحة ويخشى أن أخاف عليه فيقول فى آخر رسالته «أرفض كتابة اسمى بالحروف» وأقر اننى مسئول مسئولية كاملة عن كل ما جاء بالرسـالة واتحمل تبعتها · ثم يورد رقم بطاقته أيضا ·

ويؤكد القارىء ناجي عزيز نجيب « ولدت وأعيش فى بلدة هادئة أهلها طيبون جدا متسامحون للغاية » ويقول ·· « أما مايجرى فى مصر الآن فقد بدأ من بداية الحكم الساداتى والانفتاح الاقتصادى الذى خلق الطبقية وأفرز الطفيليين،وهنا اختل التوازن فى المجتمع، وأصبح الكل فى تناطح وسباق مع الزمن وتغيرت المفاهيم والتقاليد المصرية العريقة وانفلتت المعايير وظهر الاقطاع مرة ثانية ، ومع الانفتاح ظهرت طبقات شديدة الثراء على حساب الشعب وأصبح متوسط الحال فقيرا ، والفقير معدمـا ، ومن المنطقى فى هذا الجو المكهرب ان تظهــر الجماعات المتطرفـة ، وأن يستوعبهـا النظام ويستخدمها ضدنا نحن المسيحيين ، وهكذا لعب السادات بالنار الذى أحرقته » « وذهب السادات وبقى الحال كما هو ·· » ·

ويقول ·· « ان كنيستنا سورها أيل للسقوط ، ولمعــرفة المسئولين بها للقانون لم يقوموا ببنائه بل ارادوا عمل سنده له من

الداخل ، الا انهم فوجئوا بالقبض عليهم متلبسين بجريمة شنيعة وهي محاولة منع السور من السقوط ، وتحركت جحافل الأمن المركزى والشرطة والنيابة لتمنع هذه الجريمة » .

ثم « انني أدعوك أن تكون مسيحيا لعدة ساعات فقط واذهب الى احدى المصالح الخدمية لتقضى مصلحة على أنك مسيحى ، وستجد ما يسرك » .

● ورسالة أخرى من الصيدلى د . عبده شاكر يقول فيها « ان المشكلة تكمن فى زرع أو غرس مفاهيم عقيدية خاطئة فى نفوس العامة ، وهذا خطر شديد ، فالدعوة الآن فى مجملها تتلخص فى تكفير غير المسلمين ورميهم بالشرك .. ولا فرق فى ذلك بين شيخ كبير أو داعية تليفزيونى خطير وبين أصغر تابع من جماعات التطرف ، والذى يثير الدهشة ويفجر الأم النفس هو غياب أى موقف رسمى من الدولة لمعادلة هذا التطرف وخاصة ان مصر عامرة بالعلماء الأفاضل والشيوخ الأجلاء القادرين على بيان الوجه الحقيقى والسمح للاسلام » .. « انني أتساءل أين تسجيلات الشيخ الفاضل سيد طنطاوى والشيخ ابراهيم الدسوقى وتسجيلات المغفور له الشيخ الباقورى وغيرهم ، وهؤلاء نكن لهم نحن الأقباط كل حب واحترام . صدقنى أن الدولة قادرة ـ اذا أرادت ـ أن تغير الصورة وتضعها فى الخط الصحيح الذى يظهر نقاء الاسلام ومحبة المسيحية وسهولة التعايش بينهما » .

وكلمات الدكتور عبده شاكر دقيقة فهو يقول الدولة قادرة .. « اذا أرادت » نعم اذا أرادت ولكن هل تريد ؟ هذا هو السؤال .

● ورسالة أخرى باكية موقعة باسم المحاسب سمير .. تقول « .. وكل يوم جمعة وفى أماكن مختلفة أسمع فى خطب الجمعة ما يجعل بدنى يقشعر من الاهانات ومن تسميتنا بالكفار

ودعوة المصلين الى عدم مخالطة أو مؤاكلة المسيحيين .. وحتى فى المدرسة التى تعمل فيها زوجتى يتردد عينى عينك أنه حرام اخذ درس خصوصى عند مدرسة مسيحية .. وهل تعلم ان هناك اتفاقا غير مكتوب فى الشركات والحكومة على تحجيم توظيف المسيحيين » .

● ورسالة أخرى تحمل كلاما خطيرا « أنا طبيب من أبو قرقاص ،أكتب اليك بلا اسم خوفا من الحرق والبطش من الجماعات المتطرفة التى أحالت حياتنا الى جحيم ، وأرسل لكم خطابى من القاهرة لأن مباحث أمن الدولة تراقب أية خطابات خارجة من المركز .. » .

« بدأ انشاء الجماعات الاسلامية فى أبو قرقاص على يد الشيخ ... (أورد اسمه فى الرسالة) وبدأ بنشر الفكر المتطرف وساعده على ذلك عدم متابعة الأمن وعدم اشراف الأوقاف .. وهذا الشيخ خرج فى مظاهرات عديدة علنية تهتف ضد المسيحية .. والأمن لا يتحرك ، ثم بدأت المنشورات « التى تفرق بين المسلم والمسيحى » توزع فى المدارس الابتدائية » .

.. « ووصل الأمر الى درجة انهم يذهبون للمنزل ويخرجون منه من يريدون محاكمته ويضربوه ويعذبوه » واذا حاول الابلاغ فان الأمن لن يسعفه ولهذا يفضل الناس عدم الابلاغ .. ان هناك تواطؤا واضحا من الأمن يشعرنا نحن المسيحيين بالاحباط » .

« سأروى لك حكاية لم تنشرها الصحف هناك طبيب يدعى .. (أورد اسمه فى الرسالة) أراد تأسيس عيادته فذهب لشركة ميديكو التى يملكها شخص مسيحى وطلب منه بعض الأجهزة وطلب صاحب الشركة الدفع نقدا فما كان من الطبيب وهو من الرؤوس الكبيرة فى الجماعات المتطرفة الا أن أحضر فرقة من الجماعة المتطرفة وقام بتكسير المحل وسرق ما يحتاجه لعيادته وهدد العمال وصاحب

المحل بعدم الابلاغ حرصا على حياته وحياة أولاده •• لكن صاحب شركة ميديكو قام بالابلاغ وبالفعل تم القبض على المهاجمين وتم تسليمه ما سرق ولكن طلب منه التنازل عن المحضر حرصا على مستقبل الطبيب •• أرأيت أى نوع من الارهاب نعيش فيه » •

•• ولا أملك تعليقا ••

فقط أهدى هذه العبارات والوقائع الماساوية الى المسئولين•• والمسئولين عن الأمن خاصة وأعود لاصرخ •• ماذا جرى لمصر ؟

* * *

هــل الســادات هــو المسئول

•• ومن بين عديد من الرسائل أتوقف أمام رسالة القارىء « علاء محمد الهنداوى » مدرس تاريخ بميت غمر • ان دراستى وثقافتى وما تعلمته من والدى وهو أزهرى مستنير ويعمل مديرا للتعليم الابتدائى بميت غمر •• قد أقنعتنى أنه لا يوجد فى الأصل أى مظهر للتفريق بين المسلمين والأقباط ، لأننا فى بلدتنا نعيش معهم وننصهر معهم فى بوتقة واحدة ومن خلال متابعتى للردود التى تصلكم تبين لى أنها مكسوة بطابع فردى بحت ، لأن الذى أشعل الفتنة أو بالدقة الذى أوجدها هو الآن بين يدى ربه وهو أنــور الســادات ســامحه الله • وأؤكد لك أن هــذه الأحــداث المصطنعة ومحاولات التفريق على أساس الدين لا تجد صدى حقيقيا فى نفوس المواطنين ، وهذه حقيقة أؤكدها بعد عمل ما يشبه استطلاع للرأى بين أصدقائى من مسلمين وأقباط •

وأود أن ألفت النظر الى الخطر الحقيقى للدور الذى يلعبه السيد الأمريكى الذى يروج لكل ما من شــأنه أن يفتت هـــذا الوطن •• فالاستعمار يا سيدى هو رأس كل بلاء •• وثمة دور آخر للدول الرجعية النفطية وانظمتها البالية فى الخليج التى تقوم بتغذية الجماعات المتطرفة حتى تجد هى الأخرى لنفسها مدخلا الى هذا البلد العظيم •• مصر » •

ويمضى علاء محمد الهنداوى مؤكدا سلامة الوجدان المصرى رغم المؤامرات ومحاولات التفريق ·· « فأثناء انتظارى للتعيين عملت فى شركة بترول بالبحر الأحمر كعامل ·· وفى الشركة كان رئيس الوردية واسمه صابر حنا واصف وأنا أذكر اسمه هنا لأحييه فقد كان يعاملنا بأرقى أنواع التعامل · وكان لا يتناول طعامه الا اذا جمع جميع عمال الوحدة الفرعية ليأكلوا معه · رغم أن هذا ليس من حقنا ·· وكان هذا الرجل ولا يزال محل احترام وحب من الجميع » ·

● ونعود الى التساؤل عن دور السادات فى اشعال الفتنة ·· ويؤكد لنا القارىء « وليم نجيب حنا - محرم بك - الاسكندرية » ان السادات كان بيت الداء أو رأس الأفعى فمصر لم تكن هكذا من قبل ·· ويقول : « نعرف ماذا فعله الصليبيون فى أقباط مصر قبل مسلميها ، وبعدها جاء الاستعمار الانجليزى الذى حاول ضرب المسلم بالقبطى لكنه كان مفضوحا فالاستعمار لم يكن لا قبطيا ولا مسلما ، بل كان استعمارا ينهبنا جميعا ، وكلنا يعرف ماذا حدث فى ثورة ١٩١٩ ·· وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ وهى بحق اجمل أيام صباى حيث عشنا نسيم العدالة فلم يكن الغنى يذل الفقير ، ولا الأغلبية تضطهد الأقلية ·· ثم جاء السادات ولم يكن عنصريا بقدر ما كان أمريكيا مطيعا ، وكان من المطلوب اقتلاع كل أفكار ومواقف عبد الناصر فابتدعوا الجماعات الاسلامية التى سرعان ما خنقت كل ما هو جميل فى مصر ، ثم خنقت السادات نفسه ، وفى ١٩٧٧ وبعد انتفاضة الجياع ، كان من الضرورى توجيه نظر الجياع الى مجال آخر وكانت أحداث الخانكة والزاوية الحمراء ·

ومات السادات وترك لنا مصر تعج بكل أنواع الفوضى والهمجية وكان موقفهم صعبا فالجماعات الاسلامية المختلفة تشكل

خطرا على أمن البلاد ولكنها فى الوقت نفسه مطلوبة ٠٠ وعليه فالحل هو فى تحجيم هذه الفئات وليس ضربها » ٠

ويمضى القارىء وليم نجيب حنا ليمسك بواحد من الجراح الحقيقة « ان أوضاعنا الاقتصادية الحالية لا تخفى على أحد » وأصبح ولاة أمورنا فى موقف حرج أيضا خوفا من ثورة الشعب الجائع ٠ والحل السهل دائما لكى يلهو الشعب بعيدا عن الحاكم هو « فرق تسد » وضرب القبطى بالمسلم ولكن هذه المرة يحدث عكس ما حدث أيام الاستعمار فولاة أمورنا مسلمين ٠٠ ويكون القبطى هو الضحية » ٠

ونتوقف أمام هذه المؤشرات الهامة ٠٠ فالرسالتان تؤكد ان سلامة الوجدان المصرى ، وسلامة الوحدة الوطنية ٠٠ وتؤكد الرسالتان مسئولية السادات ، ومسئولية أمريكا فى بذر بذور الفتنة الطائفية وعن عمد ٠

لكن القارىء وليم نجيب حنا يمسك بتلابيب الحكم ويؤكد أن « الفتنة الطائفية » هى جزء من لعبة الحكم فى التحكم فى أعناق البشر ، والابتعاد بهم عن التوحد فى مواجهة سياسات الأفقار والتجويع ٠٠ وهو يؤكد أن الجماعات المتطرفة مطلوبة ، ومطلوب لها أن تلعب دورا ما فى بذر بذور الفتنة ، ومن ثم فان ما يتم هو « تحجيم هذه الفئات وليس ضربها » ٠

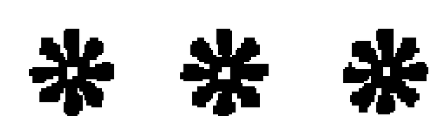
٠٠ وعلى أية حال فان الحقيقة الواضحة هى أن ثمة بعدا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا تتولد منه تلك الجماعات المتطرفة ٠ وربما كان هناك أيضا بعد اجتماعى واقتصادى وسياسى تتواجد فى اطاره هذه الجماعات ، ويصبح وجودها ضروريا فى اطاره ٠

لكن السؤال : هل السادات هو المسئول أم أمريكا ، أم هما معا ؟ هذا السؤال يتعين علينا الا يستوقفنا الا بمقدار محاولتنا

لتفهم الظاهرة ودراسة أبعادهــا ·· بل يتعين أن نمسك بسؤال آخر ·· هو لماذا تبقى الفتنة قائمــة ومشتعلة حتى الآن ؟ ولماذا تتوافر لهــا المنافذ الاعلامية والتعليمية · حتى الآن ؟ ولماذا تظل مظاهر التفرقة سياسة ثابتة للحكم حتى الآن ؟

هذه هى الأسئلة الحقيقية لأنهــا تضع المسئولية فى عنق أصحابها الحقيقيين ، وتمكننا من مساءلتهم هم ، وبشكل مباشر ؛ وليس الاكتفاء بالقاء التبعة على عناصر طواها الزمن ··

أليس كذلك ؟



الإسلام والأقباط

(١)

•• ومع تردى الأوضاع « وتزايد أبواب الفتنة » وتصعيد بواعثها « بل واسهام بعض رجال الدين فيها عن قصد أو غير قصد » نجد أنفسنا بحاجة الى الحديث فى هذا الأمر •• ونجــد أنه من الضرورى تكرار واعادة تكرار ما نعتقد أنه واضح « ولكن ما حيلتنا اذا كان البعض يحاول أن يفجر الوطن ووحدته بدعاوى دينية - بينما صحيح الدين براء • مما يقولون • ومما يفعلون •• » •

وبين يدى أبحاث المؤتمر السادس للبحوث الاسلامية الذى عقد بالقاهرة فى عام ١٩٧١ •• وقد قدم لها فضيلة الشيخ د • محمد عبد الرحمن بيصار ـ الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية قائلا انها « نتاج صفوة من علمــاء المسلمين ومفــكريهم من أقطار متعددة •• تدارسوا قضايا الساعــة ومشــكلات العصر على ضوء الاسلام الحنيف » واضعين نصب أعينهم هدى القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم) •

ولنقرأ خلاصة أبحاث هذا المؤتمر الاسلامى الكبير •• ويتألق أمامنا عنوان منها يقول « الانسانيــة الرفيعــة فى معاملة الدولــة الاسلامية لرعاياها من غير المسلمين » ونقرأ « الدولة الاسلامية هى

صاحبة السيادة على المسلمين وعلى غير المسلمين الذين يستظلون بظلها ويحتمون برايتها سواء أكانوا ذميين ، أو مستأمنين ، أو معاهدين • « فالحقوق التى قررها الاسلام لهم ، قائمة على أساس انساني ، بحيث لا يفرق بين أهل دين ودين » ••

(مجمع البحوث الاسلامية ــ المؤتمر السادس ــ ج ٢ ــ ص ١٨١) •

ونواصل : فكان من المحافظة على حريتهم الدينية ، أن يتركوا فى عباداتهم ، وأحكام الأسرة الى دينهم • والقاعدة الفقهية « أمرنا بتركهم وما يدينون » •

مرة أخرى استمعتم « أمرنا بتركهم وما يدينون ونمضى مع هذه الدراسة المتعة •• « والدولة الاسلامية لا تمنع الذميين من أن يتعاطوا ما هو مباح لهم فى دينهم وان كان محرما فى الاسلام كشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، حتى لا يعد ذلك تدخلا : فى ديانتهم ، وحريتهم الشخصية ، والدولة مكلفة بتوفير هذه الحرية لهم •• حتى ان مذهب أبى حنيفة « يرى حماية لحريتهم الشخصية ان المسلم لو أراق خمرا لذمى أو قتل خنزيرا له وجب عليه أن يدفع له قيمة ما أتلف » •

•• ويفسر هذا البحث « الجزية » تفسيرا مختلفا عن ذلك الذى يقدمه لنا اليوم الناعق بالخراب فى هذا الوطن •• « الجزية هى مقابل الزكاة عند المسلمين • فالمسلم يؤدى الزكاة والذمى لا زكاة عليه » ••

وهى تؤدى مقابل الحماية التى تكفلها الدولة •• وليس كعقاب لهم لانهم ليسو مسلمين ••

واليك الأدلة •• « فاذا عجز المسلمون عن حمايتهم • ردوا الجزية اليهم ، ولقد أخذ أبو عبيدة الجراح الجزية من المدن التى

فتحها بالشام ،فلما علم ان الروم تزحف لحربه · رد الجزية الى أصحابهـــا لأنه سيشغل بحرب الروم · ولا يستطيع أن يكفل الحماية للمدن التى أخذ منها الجزية من قبل » تصرف أبو عبيدة الجراح هذا التصرف العقلانى والذى يفهم الجزية » على انها تعاقد وليس عقابا فماذا كانت النتيجة ، حارب مسيحيو هذه المدن معه ضد الروم ·· « فأعانوا المسلمين على الروم وآزروهم » ·

وكذلك عاهد خالد بن الوليد ·· صلوب بن نسطونا وقومه على الجزية ، مقابل المتعة والحماية ، فمادام يحميهم فله الجزية ، والا فلا ·

·· « وجاء فى الشرط الذى اشترطه أهل جرجان وغيرها ، على المسلمين ان يدفعوا الجزيـة لقاء حمايـة المسلمين لهم ، فاذا استعان المسلمون بأحد منهم ، فله جزاء معونته » ·

··« ومن الأدلة على الجزية تؤخذ مقابل الحماية : ان قبيلة الجراجمة وهى مسيحية تقيم بجوار انطاكيا ، سـالمت المسلمين ، وتعاقدت معهم على أن تعينهم فى الحرب » على أن تعفى من الجزية وتنال نصيبها من الغنائم » ·

·· « وفى سنة ٢٢ هجرية أبرم المسلمون مثل هذا العقد مع احدى البلاد المقيمة على حدود فارس من الشمال فاعفوها من الجزية، على أن تقاتل معهم فى مغازيهم » ·

·· « ومن الأدلة أيضا أعفاء الشيوخ والنساء والأطفال من الجزية لانهم لا يقدرون على حمل السلاح » ··

(المرجع السابق ـ ص ١٨٢) ·

واذا كنا اليوم نمنـح المصرى بعض النظر عن ديانتـه شرف خدمة العلم ·· أى شرف الجندية فهل بقى من سبب يجعل اليوم

الناعق بالخراب الى الالحاح على موضوع الجزية ، خاصة وانهم يطرحونه من باب التنكيل بمخالفيهم والترفع عليهم ؟

والمقصود من كل هذا هو ان الروح السمحة للاسلام قد فهمت فهما صحيحا وعاقلا من المسلمين الأوائل الذين كانوا أيضا رجال دولة حكماء . وعاقلين ، وقادرين على توحيد الصف فى مواجهة الخصوم .. أما « البوم » الناعق بالخراب عبر أجهزة الاذاعة والتليفزيون فانه لا يهتم لا بالعقل . ولا بالحكمة ولا بوحدة الصف، ولا .. ولا .. وانما فقط هو التعصب الذى ينأى بالانسان عن رؤية الصواب . وعن التصرف العاقل والمعقول .. بل وينأى به عن صحيح الدين . وعن صحيح تطبيقه على أيدى المسلمين الأوائل .

وللقول بقية ..

* * *

الاسلام والأقباط

(٢)

ونواصل مطالعتنا للأبحاث القيمة للمؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية .. ونواصل القراءة عن موقف الاسلام من أهل الذمة .

ونقرأ « والدولة الاسلامية عليها حماية الذميين فدمهم مصون، لا يصح الاعتداء عليهم ، وحريتهم الشخصية مكفولة ، ليس لأحد أن ينتقصها ، وكرامتهم محترمة لأنهم كالمسلمين ، مصونو الكرامة على السواء .

والاعتداء على الذميين فى نكره وفحشه ، كالاعتداء على المسلمين ، وله سوء الجزاء فى الدنيا والآخرة .

ولقد تكررت الدعوة الى العناية بهم فقال — عليه الصلاة والسلام « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » من أذى ذميا ، فانا خصمه يوم القيامة ، ومن خاصمته خصمته) — « من ظلم معاهدا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا ، بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » .

[مجمع البحوث الاسلامية — المؤتمر السادس — ج ٢ — ص ١٨٤] .

ونمضى مع الأيـام العطـرة بعبق الاسلام الحقيقى والتـدين الحقيقى • وليس تدين هؤلاء الناعقين بتدمير الوحدة الوطنية •• نمضى لنقرأ •• « وكان عمر بن الخطاب على شدتـه مع المسلمـين رفيقا بأهل الذمة والمعاهدين فقد أوصى سعد بن أبى وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة ، وبأن لا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها إلا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه • وأوصاه أن لا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ، وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه » •

ونمضى فنقرأ « وأوصى عمر أبا عبيدة الجراح بالذميين فقال : وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم ، وأكل أموالهم الا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت ، فى جميـع ما أعطيتهم ، فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر ، وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة » •

وجاء فى كتاب عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ الى عمرو ابن العاص ، وهو يومئذ الوالى على مصر : وان معك أهل ذمة وعهد • وقد وصى رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهم وقال « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته ، فأنـا خصمه يوم القيامـة » •• احـذر ياعمرو أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم خصما لك ، فان من خاصمه خصمه •

[المرجع السابق ص ١٨٥]

وعلى عكس بعض رجال الدين عندنا فقد كان العلماء والفقهاء من المسلمين الأوائل وفى العهد الوسيط حريصين على تذكير حكام المسلمين بواجباتهم ازاء أهـل الذمة •• « جـاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف • موجها القول الى هارون الرشيد : وقد ينبغى ياأمير المؤمنين أن تتقدم بالرفـق بأهـل ذمة نبيك محمد (صلى الله عليه وسلم) والتفقد لأحوالهم حتى لا يظلموا ولا يكلفوا فوق طاقتهـم ولا يؤخذ شىء من مالهم الا بحق يجب عليهم » •

ونمضى مع أبحاث المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية لنقرأ عن حرية الاعتقاد كلاما نود لو أن الناعقين بالتفريق والتفرقة فى هذا الوطن يقرأونه معنا ، ويلتزمون به أمام الله وأمام الناس ٠

« أما حرية الاعتقاد : فعلى الدولة الاسلامية أن تترك الحرية لكل فرد من رعاياها أن يكون عقيدته بناء على ما يصل اليه عقله ونظره الصحيح فلكل انسان طبقا للشريعة الاسلامية ، أن يختار من العقائد ما يشاء وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته واعتناق غيرها بالقوة لقول الله ــ عز وجل ــ « لا اكره فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقوله تعالى : ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ٠



دعـوة للفتنـة في كتاب مدرسي

●● ولعلي لا أثقل مرة أخرى على وزير التعليم ، ولكن يبدو انه قد تلقى تركة مثقلة تسلل اليها المتطرفون بحيث جعلوها أداة من أدوات نشر التطرف ، بما يذكرنا بسيطرة المتطرفين على جهاز التعليم فى اليمن ··· الأمر الذى وضـع اليمن كله فى موضـع صعـب ··· والموضوع مثير للدهشة والغضب معـا ··· ويمس أعمق مشاعر الاخوة المسيحيين لأنه وببساطة يتطاول على معتقدهم الدينى ·

ولست أدرى أية مصلحة لأحد عاقل فى ذلك ، اللهم الا اذا كان يخطط ويوعى لاشعال نيران الفتنة فى هذا البلد ··· وفجأة انهالت رسائل عديدة بعضها يحمل قصاصات من جريدة « وطنى » والبعض الآخر يبث همومه المباشرة عندما يواجه أبنه الطالب بكلية التربية جامعة أسيوط فرع سوهاج بأنه مطلوب منه أن يستذكر وأن يمتحن فى كتاب يتهجم وبضراوة غير مبررة على الديانة المسيحية ولا يتبقى الا أن يطلب منـه أن يجيب عن سؤال من نوع « اذكر كيف تحولت المسيحية الى ديانة وثنية ؟ » أى عبث هذا ؟ بل أى جنون ؟ ولنقل وبصراحة أى ضعف هذا الذى يغلف حكومة الدكتور عاطف صدقى ·· ؟

تلك الحكومة التى احتملنـا منها الكثير ـ الفقر والتبعيـة والفساد ··· لن نحتمل منها ، ولن نغفر لها هذا الضعف المشين

ازاء التطرف والمتطرفين الذين يسوقون الوطن بأكمله نحو كارثة محققة ... ويدفعونه دفعا الى الاشتعال بنيران الفتنة الطائفية ... ولست أدرى كيف أبدأ ؟ .

فقط سأورد فقرات غير عاقلة وغير معقولة من كتاب عنوانه « محاضرات وبحوث فى أصول التربية .. الفرقة الثالثة ــ اعداد قسم أصول التربية » لنقرأ هذه الفقرات ولنر أثرها على نفسية طالب مسيحى ، ولنر أثرها على مواطنين شركاء فى ملكية هذا الوطن ترابه وتراثه وتاريخه ومستقبله . لنقرأ لندرك أن أصحاب هذا الكتاب .. من قسم أصول التربيــة ... يستحقون هم أنفسهم درسا فى التربية ... فأية تربية هذه التى تمزق الطلبة الى مسلم ومسيحى » والتى تمزق المسيحى وتضعه فى موضع المتهم ، وماذا سيحل بنا اذا تخرج فى قسم التربية مدرسون يمتلكون « تربية » تشبه « تربية » أساتذتهم فيعبثون فى الوطن تمزيقا وتطرفا ...

يادكتور عاطف صدقى اقرأ معى ، وأنظر ماذا أوصلنا اليه ضعف حكومتك ..

.. « المسيحية تقوم على اليهودية ، واليهودية ليست دينــا » [ص ١٥] .

.. « ان المسيح قد لا يكون له وجود على الاطلاق »[ص ٨٦].

.. « المسيحية طعمت بالوثنية » [ص ١٨] .

.. « المسيحية تأثرت فى الفكرة الالهية بالثلوث المقدس عند قدماء المصريين وبالثالوث الهندى » [ص ١٩] .

.. « بولس الرسول تظاهر بالنصرانية لتحريف المسيحية » [ص ١٩] .

.. « المسيحية تم فيها عبث بشرى جعلها توليفة يهوديــة وثنية » [ص ٧٨] .

.. وهكذا تمتد عشرات الفقرات لتتطاول على ديانات سماوية، وكأن المسلم لا يكون مسلما حقا الا اذا أهان وامتهن الديانات الأخرى ، بينما صحيح الاسلام يقوم على الاعتراف بالديانات السماوية وعلى احترامها ...

ولنقرأ معا الآية الكريمة « كل أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

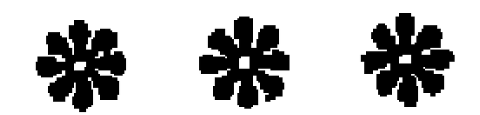
وتفسر أستاذتنا السيدة الفاضلة بنت الشاطىء هذه الآية قائلة « ومن الايمان بالله التصديق بغيب الملائكة ـ وبالغيب عامة ـ والتصديق بكل الرسل قبل ختام النبوة » وتقول د. بنت الشاطىء : وقوله تعالى عن المؤمنين الموحدين (لانفرق بين أحد من رسله) أصل من أصول عقيدتنا ومنهاجها فى السلوك . وهذا النفى للتفريق بينهم يتعلق بكونهم الذين تفضل الله تعالى فاصطفاهم رسلا لهداية البشر [الأهرام ـ ١٧ ـ ٣ ـ ١٩٩٢] .

.. والحقيقة ان التدنى الى مهاجمة الأديان الأخرى قد بدأ عندما أتاح التليفزيون للبوم الناعق بالخراب والتفريق ، فرصة التهجم على المسيحية دونما رادع ... فتصور البعض انها سياسة حكومية ... وتقدمت فلول التطرف لتمارس الجريمة فى وضح النهار وعلنا دون رادع ... ياحكومتنا غير العزيزة ..

الأمر جد لاهزل فيه ، فاما أن تمتلكى الحد الأدنى من القدرة على حماية أبسط حقوق المواطن فى احترام ديانته ومعتقده وهو ما يكفله له الدستور ... وأما أن ترحلى غير مأسوف عليك ، ويكفى أن التاريخ سوف يذكر لك أن حمى التطرف قد وصلت فى عهدك المدرسى والجامعى ... ورسميا وعلنا للطعن فى الديانات الأخرى ...

واذا كنتم لا تعرفون أن ذلك يفتح أبواب جهنم فانتم فى سذاجة تصل الى ما هو أفدح من السذاجة ...

واذا كنتم تتخيلون أن الأقباط سيظلون فى هذا الضغط المشين ساكتين راضين ... من لا يعجبه يحتمل ، ومن لا يحتمل يهاجر ، فأنتم جد واهمون ، ولم تتعلموا دروس التاريخ ولا دروس الحاضر فى أكثر من بقعة من العالم ...



الاحيــاء الدينى

(١)

سعيد الحظ من المؤلفين من يجد لكتابه ناشرا ، لكن الأسعد حظا هو من يجد ناشرا مثقفا وواعيا ٠٠ ولهذا فقد استلفت نظرى ، وتوقفت باهتمام شديد أمام الصفحات الأربع التى قدم بها الناشر (الدار العربية للطباعة والنشر) كتابا يستحق هو أيضــا التوقف أمامه ٠٠ والاحتفــاء به ٠٠ « الاحيــاء الدينى ـ للدكتور رفيق حبيب » ٠

والصــــفحات الأربع متخمة بالأفــكار والمواقف بحيث تكاد تتوقف أمام كل عبارة لتناقش ، وتجادل ، وتختلف أو تتفق ٠٠ ويبدأ الناشر بكلمات كرصاص ذا نصل حاد « ان تلجأ الى العقل فى مجتمع يؤمن بالخرافة ويشيع فيه الجهل ، فهذه خطيئة ٠٠ وأن تكون من الأقلية الدينية فى بلد سيطر على الأغلبية فيه التطرف والتدين السطحى فى آن واحد فهذه خطيئة أخرى ٠٠ وان تشعر بالأمل فى بلاد سيطر عليها الارهاب بكل أنواعه فى حماية قانون الطوارىء ٠٠ فهذه خطيئة أيضا » ٠

ثم تمضى المقدمة « اذا كان اللعب على وتر الدين ٠ ومن ثم الفتنة ، بالاضافة الى القهر والارهاب هى أسلحة الحكام الضعاف

لتسيير الغوغاء ، والتغطية على النهب والفساد ، فقد كانت الدولة القوية قادرة على تهميش دور الدين بل وتغييره أو تطويره ، مثلما كان يحدث أيام الفراعنة فى العلاقة بين الدولة والمعبد ، ومثلما حدث أيام صلاح الدين الأيوبى ، اذ غير مذهب المصريين المسلمين من الشيعة الفاطمية الى السنية ·· » ·

وهنا يلمس صاحب المقدمة جرحا مصريا قديما ·· فالدين الذى هو جزء من أعمق أعماق الوجدان والوعى الاجتماعى فى مصر ، يصبح أداة لدى الحكام الضعاف يتخذون منه ، ومن التمسح به ، أو الاختلاف حول معطياته مبررا للامساك بأعناق الناس ·· بينما يصبح الدين فى ظل حكم رشيد علاقة حميمة بين الانسان وربه ، وليس أداة لتطويع البعض للبعض أو ارهاب البعض للبعض ·

ونعود الى المقدمة « وفى التاريخ القريب نجد ان أول محاولة لفصل الدين عن الدولة فى عصر محمد على ، وكان هذا ايذانا بولادة الدولة الحديثة الأولى ·· » ·

ثم تمسك المقدمة بالخيط الأكثر أهمية ·· فمع قيام مشروع قومى ينهض تختفى الفتنة الطائفية · ولا تنهض الا فى عصور الانحطاط ومع نهوض مصر فى ثورة ١٩١٩ ·· وقف القمص مرقص سرجيوس ·· ليرد على الانجليز الذين برروا احتلالهم لمصر بدعوى حماية الأقليات ليقول : « اذا كان الانجليز قد أتوا الى مصر كى يحموا الأقباط ·· فليمت الأقباط ولتحيا مصر حرة » ·

ويمتد الخيط مستقيما ، وعندما انسحب أعضاء الهيئة الوفدية ، ولم يبق سوى سبعة أشخاص من بينهم مسلم واحد هو مصطفى النحاس وستة أقباط قال سعد زغلول قولته المشهورة ، « أحكم مصر بهؤلاء ·· الدين لله والوطن للجميع » ·

وتمضى المقدمة لتستخلص نتيجة هامة لعلها تستحق المناقشة

بصورة جدية فى مجال أكثر رحابة ، فمع ضعف الحكم ، واصراره على الامساك بأعناق الناس ، ومع اتجاهه الى التبعية للغرب والترويج للنموذج الغربى دون الأخذ بقواعد الليبرالية الغربية فان « التهديد بوصول الاسلام السياسى الى الحكم مثل ايران ، وتهديد الاستقرار ومصالح الغرب ·· هو أحد الأغراض ، وكذلك تهديد الأقليات الدينية والمذهبية ، وخلق مبرر للقوانين الإستثنائية وقانون الطوارىء وتضخم جهاز الأمن حتى شمل كل أجهزة الدولة تقريبا ، وهكذا أصبح الغرض هو الاحياء والفتنة ولكن تحت السيطرة ·· انه ببساطة ما يمكن أن يطلق عليه ، فن صناعة الخصم » لذلك يمكن فهم الخطاب الاعلامى الرسمى العنصرى وخدمته لكهنة التعصب والارهاب وشيوع التدين السطحى والقبح فى المجتمع ·

·· والصفحات الأربع متخمة ـ كما قلت ـ بما يثير الاتفاق والاختلاف ··

فانا اختلف مثلا مع رؤية الناشر لثورة يوليو اذ يقول « وفى اعتقادى ان يوليو هى فعل بدنى تدخل لاجهاض الدولة المصرية الحديثة الثانية نتيجة التحالف بين قوتين شموليتين هما العسكريون من ضباط الجيش الصغار ، والسلفيون متمثلين فى تنظيم ارهابى هو الاخوان المسلمون » ·

ولست ممن يعتقدون بصحة هذه المقولة فقد كان النظام الملكى منهارا وفاسدا ومتهاويا وعاجزا عن ان يمثل امتدادا للدولة المصرية الحديثة ، ولا مبشرا بها ··

ولعله من حقنا ان ننتقد عددا من مكونات الحقبة الناصرية لكن المقولة السابقة تشكل تجاهلا للواقع الفعلى ·· فقد شارك الشيوعيون مثلا فى تنظيم الضباط الأحرار جنبا الى جنب مع الضباط الوطنيين وكل خصوم النظام الملكى ·· والاخوان

المسلمين ·· ولعل ثورة يوليو قد أقامت نموذجا جديدا للدولة الحديثة ·

(صناعة ـ اصلاح زراعي ـ تخطيط ـ تعليم مجاني ـ تحديث اجتماعي ـ علاج مجاني ـ دور اقليمي وعالمي بارز · الخ) وهو نموذج نجح في ان يلهب المشاعر الوطنية والقومية ، كما أنها امتلكت حكما قويا ـ ربما قويا أكثر من اللازم ـ بحيث لم يضعها في موضع الحاجة للاستناد الى تأجيج الفتنة الطائفية ، بل مكنها من التصدى لدعاتها ـ ربما بشراسة تزيد على الحد وبرغم الاختلاف مع بعض المعطيات في المقدمة ذات الصفحات الأربع فان المؤلف قد امتلك فرصة لا تتكرر كثيرا اذ وجد ناشرا هو أيضا مفكر وصاحب رؤية تستحق الالتفات والاهتمام » ·

وكان ذلك كله عن مقدمة الكتاب

فماذا عن الكتاب ذاته ؟

* * *

الاحيـاء الدينى

(٢)

ونمسك الآن بالكتاب الذى تحدثنا عن مقدمته ٠٠

والاسم الكامل للكتاب « الاحيـاء الدينى ـ ملف اجتماعى للتيارات المسيحية والاسلامية فى مصر » ٠٠ وهو واحد من سلسلة كتب قيمة ومثيرة للاهتمام والجدل ، لواحد من أهم مفكرى وكتاب هذا الموضوع البالغ الحساسية والبالغ التعقيد ٠٠

ولعل حساسية الموضوع ، أو احساس المؤلف بضرورة الحذر ازاء « الجريمة » التى ارتكبها ولم يزل ٠٠ وهى انه مسيحى يتحدث وبشكل علمى عن « الدين » ٠٠ وعن « التطرف الدينى » ٠٠ لعل هـــذا قد دفع المؤلف الى صياغة أفكاره بدقة وتدقيق ٠٠ فتقرأ الكلمات وكأنك تسير على خيط رفيع مشدود بعناية ٠٠ ومدقق باتقان ٠

وليس من السهل استعراض كتاب لرفيق حبيب ٠٠ ولطالما شكوت من ذلك وأنا أتحدث عن كتاب آخر له ٠٠ ولكن ٠٠ وبرغم هذه الصعوبة فلنحاول ان نتوقف أمام بعض معطيات هذا الكتاب ٠٠

ونقرأ معا .. « تنبع الحركات الاجتماعية عموما من وجود فجوة بين احتياجات الشعب ، وبين قدرة المجتمع على تلبية هـذه الاحتياجات ، سواء بالنسبة للاحتياجات المادية أو المعنوية ، وغالبا ما تنبع الحركات الدينيـة من فقدان المجتمع للقدرة على تلبيـة الاحتياجات المعنوية ، وهو ما يدفع الى قراءة الفكر الديني قراءة جديدة » .

ونقرأ أيضا وكأننا نتحدث عن بعض الأحزاب السياسية التي تصادمت مع واقع مرير ، ومع جماهيرية مفتقدة فحاولت تعويض هذا العجز بارتداء مسوح الدين ، والافراط في التطرف ، بما أدى الى التفريط حتى في منهاجها الأصلي وبرامجها وتوجهاتها .. بل والتزاماتها ازاء الوطن ووحدته .. نقرأ عبارة موحية ومتقنة « ان بعض الحركات الدينية تنبع من حركات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، حيث يأتي العنصر الديني في مرحلة تالية لقيام الحركة ففي بعض الأحيان تنشأ حركة دون أن يكون لها مضمون ديني ، ولكن في مرحلة ما تتجه الحركة الى المجال الديني ، وغالبا ما يكون الدافع وراء ذلك ، هو محاولة تطوير الحركة ، واكسابها مزيدا من الشعبية .. فالبحث عن المضمون الديني .. يتواكب مع الاحباط السياسي ، أو محاولة تأمين المكانة السياسية » .

وينطبق ذات الشيء مع الأنظمة الحاكمة ..

« ومن هنا ظهر الخطاب الديني ، أو العنصر الديني في الخطاب السياسي الناصري فكانت الأزمات الخارجية ، كما كانت الهزائم الداخلية دافعا وراء ظهور المحتوى الديني لخطاب عبد الناصر .. فاللجوء للدين كمصدر للشرعية ، يتواكب غالبا مع محاولة السياسي لاستعادة جذوره الدينية ، او اخراج تدينه الشخصي الداخلي بمعنى ان اللجوء للدين في الأزمات ، هو احتمال قوي لدى الشخص أو

الجماعة ، المتميزة بالأصول الدينية التقليدية ، وأيضـا بالتربية الدينية فى المراحل العمرية الأولى ٠٠ » ٠

وهكذا فان استخدام الخطاب الدينى كسبيل لستر هزيمة أو اخفاق ، تخطى الحاجز بين حركة ما وبين الجماهير ٠٠ هو أمر كثير الحدوث ٠٠ ويفسر المؤلف ذلك بأنه « فى الاطار الحضارى المصرى تختلف الظروف العامة لمكانة الدين ، فنجد ان هناك حدا أدنى للتدين لدى معظم فئات المجتمع ، مما يؤدى الى وجود الميل الدينى الشخصى لدى الغالبية ، وبالتالى يصبح استدعاء العامل الدينى فى الأزمات ممكنا » ٠

لكن هنا فارق هام يمسك به رفيق حبيب بين نظام عبد الناصر ونظام السادات ٠

« فنجد ان الدين كان عنصرا تعبويا فى الخطاب الناصرى ، ولكنه كان عنصرا محددا للهوية فى الخطاب الساداتى مما يشير الى اختلاف الوظيفة الاجتماعية السياسية للدين لدى كل منهما ٠ فعند عبد الناصر كان الدين يمثل دافعا للحركة فى الأزمات ، وعند السادات كان الدين يمثل محددا عاما للهوية خاصـة فى لحظات الأزمة » ٠

« فالخطاب الدينى الناصرى كان يقسـم المجتمع الى مؤمنين لا تغلبهم الهزيمة ، وآخرين بعيدين عن الدين ولذلك يستسلمون ، أما الخطاب الدينى الساداتى فكان يميل الى تقسيم المجتمع الى مؤمنين يمينيين (رأسماليين) وغير مؤمنين يساريين (الناصريين والشيوعيين) وبهذا يعيد استخدام الدين فى الخطاب السياسى تقسيم المجتمع على اساس دينى أو طائفى لتجاوز التقسيم الطبقى والتغلب على الصراعات الطبقية ، كذلك يؤدى الخطاب الدينى الى تغيير المشكلات التى يهتم بها المجتمع ، كما يؤدى الى تغيير وعى المجتمع بواقعه ٠

وأرجوك عزيزى القارىء ان تعيد قراءة العبارة السابقة مرات عديدة ·· فهى بالغة الأهمية وبالغة الدلالة ·· ذلك ان البعض يحاول تقسيم المجتمع الى مسلم وقبطى لاخفاء التقسيم المفزع بين رأسمالى وفاسد ومفسد وبين كادحين فقراء ويزدادون فقرا ··

وحول هذا الموضــوع يقول المؤلف « ان العلاقة بين الأثرياء والفقراء ليست علاقة بسيطة أو ذات احتمال واحد ·· وفى أحيان معينة تكون العلاقة قائمة على العداء المستمر ، أو تكون قائمة على الانعزال السلبى ·· ويوظف الدين لكى يقنع الفقراء بأن يتقبلوا الأغنياء » ·

ونمضى قدما مع كتاب قيم ، يثير جدلا فى كل عبارة من عباراته المتقنة الصياغة ، الدقيقة التحديد ··

ولا نملك الا ان نكرر الاحســـاس بصعوبة الحديث الوافى

ـ فى مساحة مهما اتسعت ـ عن كتاب يصعب تلخيصــه ، فكل عبارة لها مكانها ومكانتها بحيث يصعب تجاوزها أو اختصارها ··

وأخيرا ·· فالكاتب والناشر يكملان بعضــهما البعض ليس فقط فى اخراج كتاب مثير لشهية النقاش فى موضوع هام بل وبالغ الأهمية · وانما يكملان البعض فكرا وموقفا ··

ولا مفر من أن تقرأ عزيزى القارىء ، فلا امكانية لأى عرض موجز ، ولا امكانية لأى اختصار أو ايجاز ·· ولعلها احدى حسنات الاسلوب العلمى الذى عودنا عليه رفيق حبيب ·

* * *

ماذا جـرى لمصر

بل قل : من فعل ذلك بمصر ؟

هكذا يبدأ القارىء « محاسب علاء الدين النجيرى ـ دمياط » رسالته .. ويمضى المحاسب علاء الدين متحدثا عن التردى العام فى المجتمع .. » كان المزاج المصرى يعشق عبد الوهاب وأم كلثوم فانقلب الى كتكوت الأمير وصراخ أمثاله .. وكانت كلمة حرامى تؤدى للجرى وراء المشار عليه . أما الأن فان نفس الكلمة تؤدى بنا الى الجرى منه خوفا من ايذائه أو أن يكون ذا سلطة . والآن تحل ندوات المتطرفين الدينيين وشرائطهم المليئة بالصراخ محل ندوات التسامح للمرحوم الشيخ الباقورى أو كلمات العقل للشيخ محمد الغزالى . انه نفس التردى فى المناخ العام والمزاج العام ..

وبعد أن يتحدث المحاسب علاء الدين عما يعتقد أنه أسباب تصاعد الفتنة الطائفية وينحى باللوم على مناهج تدريس التاريخ .. وعلى صحف المعارضة التى تسكت على ما تفعله الجماعات الارهابية نكاية فى الحكومة ، والى تراخى الناس فى الدفاع عما يؤمنون به ، فانه يمنحنا قدرا مبالغا فيه من التفاؤل « واخيرا وبرغم كل الأصوات العالية والضجيج الذى يؤدى الى التشاؤم حول مستقبل مصر فاننى اعتقد أن النور قد غمر ثلاثة أرباع الصورة ولم يبق سوى مجهود قليل يقع على عاتق جريدة الأهالى تمسكا منها بمبادئها « وجريدة الوفد احتراما لتاريخها ، لكى ينتشر النور ولا يتراجع » :

● ورسالة أخرى غاضبة موقعة « أقباط مصر » « تحتج على ما ورد فى هذه الصفحات من حديث عن سلبية الأقباط . وتؤكد أن السلبية هى سلبية الصحافة والحكومة معا ازاء ما يفعله المتطرفون

في جميع مرافق الدولة والصحف القوميـــة والحزبيـة من تجريح للعقيدة المسيحية تحت بند حرية الصحافة » .

وتضرب الرسالة مثالا على سلبية الحكومة وعجزها عن مواجهة المد المتطرف فتقول « في كل الدول المتمدينة يمنع استعمال آلـة التنبيه بالقرب من المستشفيات حرصا على راحة المرضى .. ولكن في داخل مستشفى دمياط العام ميكروفون ينطلق منه الأذان عاليا الى أقصى حد وهناك مرضى وغرف انعاش يحتاج فيها المرضى الى الهدوء التام .. ولا أحد يمكنه أن يمنع ذلك .. انها سيطرة المتطرفين على الدولة .. ومرافقها » .

● وأنتقل الى رســـالة أخرى تثير الدهشـة قبل أن تثير التساؤل .. القارىء جرجس بشاى السقيرى ـ كبير ضباط مراقبة جوية بمطار القاهرة يطرح أمامنا قضية هامة « في العشرينيات قام جدي جرجس بشاى ببناء كنيسة في بلدتنا قرية بنى شقير . وفي الأربعينيات اقتطع والدى المقدس بشاى جرجس الجزء الأفضل من فناء الكنيسة وبنى فيه مدرسة ابتدائية ٩٠٪ من تلاميذها ومدرسيها من اخوتنـا المسلمين . وكان الجميع في القرية يحسون بالألفـة والمحبة ويشاركون بعضهم في الأفراح والأحزان .

ولكنى أشعر بالحزن اذ أقرر أن المتطرفين قد سمموا عقول الأحفاد حتى حاولوا احراق الكنيسة في قريتنا لأن أفراد أسرتنا حاولوا بناء سكن للكاهن في فناء الكنيسة .. أين يا سيدى يسكن الكهنة ؟ وهل تعرف ماذا فعل رجال الأمن ؟ لقد قاموا بالقبض على بعض من حاولوا احراق الكنيسة . ولكن في الوقت نفسه قبضوا على أحد الأقرباء بتهمة غريبة جدا وهى انه سمح لأحد الكهنة بالسكن في منزله ؟ وكان السماح لكاهن بالسكن في منزلك جريمة . والسؤال المحير هو أين يسكن الكاهن . اذا كان ممنوعا بناء سكن له ، وممنوع اسكانه في منزل أحد الأقباط .. هل يمكن حل هذه الفزورة ؟

ثم يروى القارىء جرجس بشاى واقعـة أخرى ففي قريتـه

توجد كنيسة أثرية وكان سكان القرية والقرى المجاورة يحتفلون معا مسلمين وأقباط منذ مئات السنين بعيد قديس الكنيسة ويسمى الأمير تادرس · وكان الاحتفال دوما مظاهـرة للحب والأخـاء بين المسلمين والأقباط ولكن ومنذ عامين فقط تحرش المتطرفون بالمحتفلين فمنعت سلطات الأمن رضوخا منها للمتطرفين ـ هذا الاحتفال ·

ويختتم القارىء جرجس بشاى رسالته « نحن فداؤك يا مصر، يا حبنا ، يا من تعيشين فينا قبل أن نعيش فيك » ·

·· ومرة أخرى تتوقف بنا رسائل القراء أمام حقائق مذهلة·· ان صحت فانها تعبر عن خطأ فادح بل وخلل خطير فى الأداء الحكومى والادارى · ورضوخا لصوت التطرف ، وخضوعا لما وصفه المحاسب علاء الدين بأنه حالة التردى فى المزاج العام ·· ولاشك أن مثل هذا الرضوخ الادارى والحكومى انما يكرس التردى ويمنحه سمة رسـمية ويضفى عليه مشروعية زائفة · كما أن هناك فارقا بين تصرفات غير مسئولة لعناصر غير مسئولة ، وبين أخطاء فادحة وغير مسئولة من عناصر من المفترض أنها مسئولة ، وانها موكول اليها بسط سلطة القانون على الجميع ·· والقانون والدستور قبل القانون لا يعرف فرقا بين مسلم وقبطى · ولا يمكنه أن يحرم مواطنا من اسكان كاهن فى بيته ، بل ولا يمكنه أن يحرم الأقباط من بناء سكن لكاهن كنيستهم ·

أليس كذلك ؟ ·

لكن الخط العام يوحى مـرة أخرى بأن المنـاخ العام يسوده ضباب من التشويش ، وان المتطرفين وأجهزة الاعلام الرسمية ، ومرافق عديدة من مرافق الحكم تسهم معا ، وفى انسجام تام ، وتنسيق متكامل ، فى أفساد المناخ العام واضفاء مسحة متطرفة على مختلف أوجه السلوك اليومى ··

انها مسئولية الحكم ، ومسئوليتنا جميعا ··

أن نحمى المناخ المصرى · الذى عاش طوال الأزمنة نقيا ·· أن نحميه من التلوث ·

فهـــرس

عن ملفات مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

المواجهة

بلغت مؤامرات التطرف والارهاب فى مصر معدلات غير مسبوقة خلال السنة الأخيرة . ولم تعد هذه الظاهرة مجرد تهديد للدولة والنظام الحاكم ، بل أصبحت تهدد المجتمع المصرى كله ، سواء فى بنيته الداخلية أو فى اقتصاده أو أمنه الاجتماعى والسياسي ومكتسباته الثقافية والفكرية ، وكذلك انجازاته الاقتصادية والمادية . ولا تقل الحرب التى يشنها المتطرفون والارهابيون ضراوة عن أى حرب خاضتها مصر مع أعدائها الخارجيين فى هذا القرن . بل ربما كانت هذه الحرب أشد ضراوة ، لأن أحد أطرافها هم أبناء لنا ، أعماهم التطرف : فأختاروا العنف سبيلا لفرض إرادتهم وزعزعة استقرار الوطن : واستهدف عنفهم أبناء لنا فى أجهزة الأمن ، أو أخوة لنا من المدنيين المسالمين العزل ، مسلمين وأقباطا.

ان ما تمر به مصر الآن هو مأساة إنسانية وثقافية وحضارية ، وكارثة إقتصادية وسياسية ولذلك أصبح من الضرورى أن ينتفض المثقفون المصريون ، ومؤسسات مجتمعهم المدنى ، للوقوف فى وجه التطرف والارهاب لمحاصرتهما واحتوائهما ، تمهيدا لاقتلاعهما تماما .

من أجل هذا تصدر الهيئة المصرية العامة للكتاب بيت المثقفين المصريين هذه السلسلة للوقوف أمام هذه الظاهرة بالفكر المستنير وكلمة الحق الشريفة .



بسعر رمزى
خمسة وعشرون قرشاً

الغلاف للفنان : محمود الهندى